

کتابخانه تصنیف سید کاظمی رحیم آبادی دکن

نمبر و چند
تاریخ و چند
نام کتاب
فہرست کتاب
مبصر کتاب و غیرہ

سيرة

الأمير محمد بن عبد الكريم الخطاط

بطن الرقيق ورئيس جمهرتها



تأليف : رشدي الصالح ملحق

عنيت بنشين

المطبعة التتلفيتية - ومكتبتها

القاهرة ١٣٤٣

، حقوق الطبع محفوظة للطبعة السلافية ومكتبتها

الى شباب الأمة العربية

وفتيان الجزيرة

أقدم هذه الرسالة

التي تتضمن صفحة خالدة من تاريخ جهاد الأمة العربية الحديث
المخلص

رشي الصالح ملحق

مالس (ملطاي)

..... لِمَقَدِّمَةِ النَّاشِرِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وبعدُ فإن جُرُومة الحياة الكامنة في أمم هذا الشرق العربي ، ما زالت تدل على وجودها بجهود رجالها . وتدفع عن ذمارها بأظفار

ابطالها ، مستمدة البقاء من تاريخ يزاد مع الزمان تأثقا وبهجة ، ومن

يقين تصقلة البلايا وتجلو المحن صداه . وما اركة الى مخوض الامير

محمد بن عبد الكريم الخطابي غمر آسها في هذه الايام - ومن ورائه

القرن الميامين من شباب الرثف وشيوخه - إلا حلقة من سلسلة الجهاد

العالم الذي اجلي به الناطقون بالضاد تكفيرا عن سيئة رقاد الشرق

منذ استيقظ الغرب ، وعمرنا لهم على حمل عبء المجد الذي بعده الدهر

لقوميتهم الكبرى . يوم يفهم نذوها معنى الرابطة ، وسر الوحدة ،

ويعملون لها من بيبي الى العراقة والثقافة

ولما كان التألف نتيجة لاندارف فقد رأى مؤلف الكتاب

وناشراه أن يضعوا بين أيدي قراءه - كتبيب في التعرف

بأحوال الشعب العربي الباسل رآ بالقومية العظمى والوطن الاكبر

ومن الله نرجو المثوبة

المقدمة

النضال

بين الشرق والغرب

ليس النضال القائم اليوم بين الشرق والغرب حديث العهد في التاريخ ، وليست المطامع الاشعبية التي ترنو بها الامم الغربية الى الشعوب الشرقية هي بنت بضع سنوات ، أو انها بدأت تلمت أنظار العالم بعد ما نازحه مصطفى كمال بطل الترك على اليونان سنة ١٩١٩ فقط . ولكن الدين يرقبون بحري التاريخ يجدون ان هذا النزاع يرجع الى ماقبل التاريخ المدون ، وأساسها تمازج متواصل بين الغرب والشرق على السيادة والتجارة ؛ فها استقرار الفنيقيين ، وما حروب القروس والروم . او حملات العرب والفرنجة ، وصراع دول أوروبا الحديثة ودول الشرق طامة والعثمانيين خاصة ، الاحلقات من سلسلة واحدة هي ذلك النضال القديم الذي عرفته شواطئ بحر الروم .

وقد تعاقبت السنود ، ومهنت القرون ورحى هذا التطاحن نشدت كلما تقدم للبشر ، وارتقت الحضارة والمدنية . على ان هذا النزاع قد ظهر باحلى مظاهره في عالم الوجود ، بظهور العرب في جنوب أوروبا ، يوم كانت جيوشها تحاصر قلاع القسطنطينية من الشرق ، وتتوغل في اكتساح الاندلس من الغرب ، وبلغت أقصى شدتها يوم حادثة بلاط الشهداء (بواتية) التي تألب فيها الفرنجة على العرب لخراجهم من أوروبا خفية من امتداد تقوذهم الى شمالها ، فاحقرت هذه الكارثة عن ارتداد العرب وتقهرهم الى جربة الاندلس ثم استمرت المناوشات بين العرب والفرنجة ، ولما خبت نارها الى يومنا هذا . فكان الحرب سجلا بينهم ، ولم يدم القرنجة أسبابا يتذرعون بها غير الحرب في الاحوال التي عجزت عنها السياسة والسيف : فقد اتخذوا الامتيازات التي منحها العرب لرايهم الاعاجم - وكانت سببا لتشكيل « حكومة في حكومة » - واسطة للقضاء على مملكة العرب كما اتخذوا هذه الامتيازات التي اتسعت وتوعدت فيما بعد وسيلة لمحور سلطنة آل عثمان ، فجرت هذه - اي الامتيازات - على العرب مشا كل عظيمة ، وجرأت الشعوب الاعجمية على فكرة الثورة والاستقلال ، فكانت العرب نحارب في بدء امرها اعداءها

الذين في الخارج فقط فصارت بعد ذلك محارب الامم التي تحكمها ايضاً محاولة للقضاء على فكرة الاستقلال ، ولكنها فشلت وقضى على ملكها بعد ان اخرجها القرنية من جنوب اوربا ، وقسمت ممالكها الى ممالك ودول .

ثم وجه القرنية ضايتهم الى سلطنة آل عثمان التي تأسست وقتئذ ، فتألبوا عليها ووصلوا على تقويض ملكها بكل وسيلة فحدث من جراء ذلك حروب هائلة تقشعر لها الابدان ، كانت آخرها الحرب العامة التي افضت الى اقتسامها واندثارها ، ولم يبق تحت حكمها غير بر الاناضول وهذه كانت على وعك السقوط في الهاوية لولا ان تداركها حفنة من الرجال وعلى رأسهم البطل كمال باشا فاقذوها من براثن الاستعباد وأعادوا لترك المجد والقضار

هذا ما حدث في آسيا وجنوب أوروبا وغيرها من البلدان قديماً وحديثاً . أما في افريقية فان حركة الاستعمار الحديثة فيها تمتاز عن سوابقها في تاريخ الاستعمار بأنها لم تكن مقرونة بالحروب ، بل كان أساسها المفاوضات والمعاهدات التي حددت بها نفوذ كل دولة كما أقر ذلك مؤتمر برلين ^(١) ، وقد جرى امتلاكها بسرعة هجينة لم يهد لها مثيل ، الا ان القمم الشغالي منها ما تبقى منذ وطئت اقدام الاجبي هاتيك الديار يجاهد ويكافح في سبيل حريته واستقلاله ولم يترك سلاحاً من يده حتى هذه الساعة . وكانت بلاد المغرب الاقصى في مقدمة هذه البلدان التي ما زالت تناضل عن حريتها واستقلالها بالسيف والرصاص بدون ان ينثي لشعبها عزيمه ، أو بكل مساعد ، أو يضمف ايمان وطني ، فاذا ذكرت الشعوب التي جاهدت لحفظ كيائها وقدمت أعظم الضحايا كانت الشعب العربي في بلاد المغرب في طليعة تلك الشعوب التي خلدت صفحة مجيدة في تاريخها .



(١) عقد مؤتمر برلين في ١٥ نوفمبر ١٨٨٤-٢٦ يناير ١٨٨٥ وقد نصت المادة (٣٤) من الصيغة الدولية التي وضعت في هذا المؤتمر على ان كل دولة تتولى بعد ذلك الترخ على جزء جديد من اميرية أو محلة في منطقة نفوذها وجب عليها ان تعلن الدول الموقعة على الصيغة بذلك ، وجب في مدة (٣٥) ان الدول الموقعة ذات المستعمرات في سواحل افريقية مجبورة على إيجاد حكومة قوية بها أمين حرية للتجارة والامتيازات الممنوحة

الفصل الأول

مقررات تاريخية

جغرافية

بلاد المغرب الأقصى

مراكش أو بلاد المغرب الأقصى^(١) واحة في شمال افريقية الغربي وتمتد شمالا بالبحر الأبيض المتوسط ومضيق جبل طارق وغربا بالبحر الاطلانتيكي وجنوبا بالصحراء الكبرى ، وشرقاً بالجزائر ، وهي معروفة لدى الفرنجة باسم "Maroc".

وتبلغ مساحتها (٨٠٠) ألف كيلومتر مربع (أي نحو نصف مساحة القطر المصري) وعدد سكانها بحسب الاحصاءات الاخيرة اثني عشر مليون نسمة ، وهم من الجنس السامي ويسمون (المغاربة)^(٢) ولغتهم العربية والبربرية ودينهم الاسلام.

وفي هذه البلاد جبال طالية وهي شعب من سلسلة جبال الاطلس ، ومن شواغها : غمارة ، ومديونة وجبالاً وغيرها .

وتجري في هذه البلاد أنهار كثيرة أشهرها : ملوية ، وسيبو ، وام الربيع ، ووادي ورغة ، والمخازن والتنصيف ، والاقس ، والفلفل .

وهواء هذه البلاد معتدل وتربتها خصبة جيدة . وأشهر حاصلاتها الحبوب واللحواك والزيتون ، وفي كثير من وديانها وجبالها معادن ومناجم حمة .

(١) قسم العرب بلاد المغرب ، وهي الآن لهم الافريقية المجاورة لبحر الأبيض المتوسط ، الى ثلاثة اقسام : الاول للمغرب الأقصى وهو من البحر الاطلانتيكي الى تلمسان ، والثاني للمغرب الاوسط وهو من تلمسان الى برقة ، ويقال لهذين القسمين (برالمدرة) لانه يندى من غربها الى بلاد الاندلس ، والثالث للمغرب الأدنى او الشرقي وهو من برقة الى حدود مصر .

(٢) اول من اطلق اسم الماربة على سكان هذه البلاد هم الفينيقيون حيث عرفهم باسم (ما جوديم) او (مقاريم) ومناء الماربة ، ولما احتل الرومانيون هذه البلاد عرفوا هذا الاسم فسوا شعبها (مأوري) والبلاد (مأوريتانية)

ومن مصنوعاتنا دباغة الجلود وصناعة السجاجيد ونسج الاقشة الصوفية . وقد اشتهرت مراكنش بالنقش في الجص على ظواهر الحيطان الممما بنقش جديدة . ولما فتح معرض باريس سنة ١٢٩٥ (١٨٧٨) أرسل اليه مولاي الحسن بن محمد داراً من خشب على هيئة ديار فاس من هذا النقش ومفروشة فرشاً مغربياً ، فكانت هذه الدار قبلة المتفرجين .

أما تقسيماتها الادارية فهي تقسم اليوم الى منطقتين : احدهما خاضعة للحماية الافرنسية وتسمى مراكنش وهي الواقعة جنوب نهر القس ، ومن أشهر مدنها فاس ومراكش والرباط واغادير ومناور والدار البيضاء والجديدة .

والمسقة الثانية الخاضعة للنفوذ الاسباني وتمتد شمالا بالبحر الابيض المتوسط وشرقاً بالجزائر وغرباً بالبحر الاطلنطيكي وجنوباً بنهر افقس حتى نهر المرائش . وهي قسيمان : الاول البلاد الخاضعة لسلطة الرسولي وتسمى (جباله) وعاصمتها (تازروت) ، والقسم الثاني وهو واقع تحت سلطة الامير ابن عبد الكريم وبسمى (الريف) وعاصمته (أجدر) ^(١) . وأشهر مدن القسم الاول تطوان ، وسبتة ، وطنجة ، وأريلا ، والمرايش ، والقصر الكبير ، والهاون . وأشهر مدن القسم الثاني : مليه ، وأجدر ، والمطير .

— — — — —

(١) بن لمطين مرع ؤم . نهر تطوان والبحر ووادي اهر وطريق تطوان . للشارد : طن يه ؤامن كثيرة لم تكن خاصة لواحد من لدى الرصد

تاريخ المغرب

(تمهيد)

تاريخ المغرب الأقصى حافل بالمعاني من الأعمال التي تشهد للمغاربة بالبطولة والفروسية ، وحسب الاستقلال والحرية ، شأنهم شأن الشعوب العربية الأخرى لا ينامون على ضمير ، ولا يسكتون عن مثله . وما فتئوا منذ المصور التاريخية القديمة يجاهدون في سبيل استقلالهم ويندودون من أوطانهم دون أن ينسى لهم ساعدا وبكل عصب ، فكان لهم في كل أدوار حياتهم كيان سياسي مستقل ومدينة مجيدة بارزة ، حتى في أشد أدوار فقرهم وضعفهم ، فلا عجب إذا رأينا اليوم ينشطون للذب عن حياض أوطانهم والكفاح عن حريتها واستقلالها ، ويناصبون دولة قوية المداء ويدحرونها إلى البحر ولم يتسلحوا بقوة الأعداء وصدق المزمعة لحسب ، لأن ذلك من شأن النفوس الالهية التي تأبى الخنوع وتنفرد من الاستعباد

١ - العهد القديم

كانت افريقية الشمالية وهي المعروفة ببلاد المغرب يقطنها منذ القدم قوم يسمىون (البربر) وهم مع شعوب قبائلهم وكثرتهم يرجعون إلى أصول ثلاثة: صنهاجة ، وكثامة ، وزفاته . واختلف المؤرخون في منشأهم وذهبوا في ذلك مذاهب حتى ، وأورد كل فريق حججه وبراهينه ولكن الرأي الأخير الراجح هو ما أثبتته المؤرخ الاميركي (جيس هنري بريستيد) من أنهم عرب ساميون هبطوا إليها عن طريق مصر^(١) من قبل زمن التاريخ . وهذا رأى الجمهور من مؤرخي

(١) قال العيسوف وحسب توثيق لك الوزير الثاني السابق ونزيل عهد اليوم في رساله (قضية النفوس والجنس العربي) بصدان ذكر اعتقاد على أحدث المولدات التاريخية لمول عليها أن رطلن الساميين الاصل هو البقية المملائية المراق والمجزرة (ما بين التبرين) وسوريا (ومنها فلسطين) التي هي جزء متمم لجزيرة العرب : « ان اقدم المهاجرات السامية التي وصل إلى مدينتها للعلاء هي ما اشتهر المؤرخ الاميركي (جيس هنري بريستيد) من انه قبل زمن التاريخ هاجرت جماعات عظيمة من البقية المملائية الشرقية قشقت غربا حتى هبطت مصر بطريق سيناء والسويس فقام بعضها في هذا القطر ومصره وهؤلاء هم اصل الشعب المصري القديم ومؤسسو الحضارة المصرية ثم هي قسم آخر منهم إلى بلاد الحبشة فاستوطنا ، وطول الاسم الثالث ينقل في افريقية الشمالية قروا عديدة وقد استقرت منه جماعات هنا وهناك وهناك ووصل بعضها شواطئ لاطلاتيتي . وما يؤيد رأي الدكتور هو ما ذكره المرحوم كمال بنشأ الأثري المصري اعتقاد على القوش القديمة المحفورة على حيطان معبد الخير للحري ان اجداد المصريين القدماء يدعون (الاله) جمع (حنو) ولتهم كانت العربية ، وان فريقا منهم يسمى (ابعاه الشحو) او الاويين هاجروا إلى البلاد المعروفة اليوم باسم بلاد المغرب

العرب . ولما شاد الفينيقيون - وهم عرب ساميون أيضا - دولتهم البحرية العظيمة قبضوا على أزمنة البلاد الافريقية الشمالية واستعمروها كما استعمروا القسم الجنوبي من اسبانيا ، وعلى أثر ذلك هاجر جماعات من صور ماصمة الفينيقين الى هذه البلاد فاستوطنوها ثم بنوا بلدة (قرطاجنة) ذات المجد الباذخ التي لا تزال آثارها باقية حتى اليوم وأسسوا دولة عظيمة تعرف بالدولة القرطاجنية عظمت شوكتها وقوى نفوذها وبسطت سلطانها على بلاد المغرب واسبانيا ، وقد دامت هذه الدولة مدة من الزمن كانت خلالها البلاد الخاضعة لها ترتفع في مجبوحة من المدنية وال عمران واليها يرجع الفضل في حضارة أوروبا القديمة ، ثم أثار الرومان عليها فبادوها وألحقوا بلاد المغرب بمملكهم ، ومنذ ذلك الحين الى أواسط القرن الخامس الميلادي أصبحت ولاية رومانية . ولما تغلبت القبائل الجرمانية على روماهيط (الوندال) الى افريقية واقتنحوها ، ولم يكن لامبراطور الروم من سلطة فعلية عليها في ذلك المهد كما انه لم تكن لوندال بها حكومات ثابتة الدائم وفي أوائل القرن السادس للميلاد اجل (يوسنينان) امبراطور الدولة الرومانية الشرقية الوندال من افريقية فعادت الى سلطان الدولة الرومانية الشرقية ، وظلت منذ ذلك الوقت ولاية رومانية الى أن افتتحها العرب

٢ - العهد العربي

بعد ان تولى معاوية بن أبي سفيان عرش بني امية وجه عنايته الى انعام فتح افريقية وكانت الجيوش العربية قد غزتها مرتين قبل ذلك ^(١) فأوفد اليها سنة ٤٥ معاوية بن خديج وفي سنة ٥٠ عقبة بن نافع بجيوش جرارة تمكنت من التوغل الى سواحل المحيط الاطلانتكي وأبادت جيوش الروم ، ثم بنى قلعة القيروان وأقام حاكما في افريقية حتى ثار البربر سنة ٦٥ بزعامة امير منهم يسمى (كسيلة) وحاصروا قلعة القيروان فقتل عقبة مدافعا عنها وكادت أن تذهب بوفاته دولة العرب في افريقية ولكن عبد الملك بن مروان سمع على استعداداتها فأرسل جيوشا كبيرة كمرت الروم والبربر شر كسرة واستعاد العرب سلطانهم على بلاد المغرب .

وفي ذلك الحين اجتمع البربر تحت لواء امرأة تعرف (بالكاهنة ذهياء) وهى من قبائل زناته واقبضوا على الجيش العربي فارتد الى برقة ، وبسطت الكاهنة سيادتها على بلاد المغرب مدى خمسة أعوام حيث أرسل عبد الملك ممددا للجيش العربي فأغار عليها وقتلها في الاجم بعد

مقاومة عنيفة . فاضطر البربر الى عقد الصلح ، ثم ولي موسى بن نصير ولاية افريقية فاستولى على (طنجة) آخر معاقل البربر وطهر المغرب من العصاة والثوار ثم أغزى مولاة طارق بن زياد والبيى حاكم طنجة الاندلس فافتتحتها ولحق هوبه فشكل فتحها وأبقى هذه البلاد التي كانت في ذاتها ملكا ضيحا ودولة عظيمة بإمالة افريقية

وقد تولى مقاطعة المغرب ولاية عديدون من قبل الامويين والعباسيين ، حملوا على انماشها وعمدينها ، فأسسوا المؤسسات والمعاهد ، ونشروا العلم والصناعة وغير ذلك من الاعمال المنظمة التي لا تزال ناطقة بفضل العرب حتى اليوم ، كما أن هذه البلاد كانت مركزاً حريباً عظيماً يعتمد عليه الخلفاء في غزواتهم البرية والبحرية ، ففى القيروان - حيث كانت دار لصناعات البحرية - تجتمع الاساطيل وتحتشد الجيوش ، ومنها تأسفر الى الجزر وسواحل أوروبا لغزو والفتح .

ولكن وقائع الحوادث في افريقية ، وظهور القلاقل وتمكر صفو الامن فيها واضطراب حالتها التجارية جعل دخلها المالى لا يوازي حقيقتها . لما تتطلبه اقلال من جيوش واعناد ، فكانت مصر تدفع من خزينتها مائة ألف دينار سنوياً الى خزينة المغرب لمد هذا العجز .

ولما اعييت الحيلة دار الخلافة وراثت الى الحالة في المغرب زداد سوءاً بحيث لا يرجى رقيها منحها هارون الرشيد سنة ١٨٤ هـ ٨٠٠ م اللامركزية الواسعة وعهد بأمارتها الى ابراهيم بن الاغلب ولا عقبه من بعده على ان يترك المئة الف دينار التي كانت ترسل من مصر الى المغرب وعلى ان يتحمل هو من بلاد المغرب اربعين ألفاً سنوياً

٣ - عهد الاستقلال

بنى ابن الاعلب وآله محققين على ولائهم للعباسيين يخضبون على المنابر باسم خلفاء بغداد ويأتمرون بأمرهم ويعملون على اخضاع البلاد لاثائرة عليهم ، وذلك لا يمكننا ان نمد اماره بنى الاغلب مبدءاً لاستقلال المغرب واقصاه عن مركز الخلافة ، وانما التاريخ الحقيقي لهذا العهد - عهد الاستقلال - هو يوم ظهور ادريس بن عبد الله من احفاد الحسين عليه السلام في وابلج بمراسكش سنة ١٧٢ (٧٨٨ م) .

الدولة الإدريسية : ١٧٢ - ٣٧٥ هـ (٧٨٨ - ٩٨٥ م) . على أثر فتك الخليفة العباسي الهادي بن المهدي للحسين بن علي من آل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فرحمه ادريس بن عبد الله

الى مصر قبلاد المغرب واستقر في مراكن، فتجمعت حوله قبائل البربر وبايعته بعدان خلمت عصا الطاعة للعباسيين ، وقويت شوكته واسس في بلاد المغرب دولة تنسب اليه ، كان من امرها ان بسطت سلطانها على المغرب الاقصى والاوسط واقامت في هاته الديار مدنية زاهرة . وحرماناً عظيماً ، وقد اشتهر من أراء هذا البيت يحيى الثالث ابن ادريس بمقدرته وعلمه ، فكان اعلام قدراً وأبعدم ذكراً واكثرهم عدلاً وفضلاً . ولكن حباب الفاطميين طغى على ملكه فأغرقه ، واندرجت دولة الادارسة في دولتهم فاصبح امراؤها عمالاً خاضعين لدار للسلطنة الفاطمية .

ولما رأى عبد الرحمن الناصر ان الدعوة الفاطمية اجتاحت افريقية الى شواطئ الاطالتيك وأخذت تهدد الاندلس ، اجتاز البحر بجيش جرار الى سبتة واخضع القمم الغربي من المغرب الاقصى لسلطانه وبقي القمم الاخر تحت نفوذ الفاطميين .

ثم توالى الغزو من الطرفين عليها فكانت تخضع تارة للفاطميين وآوة للامويين الى ان قتل الحسن بن كوث سنة ٣٧٥ . وبه له اقرضت دولة الادارسة ^(١) ودخلت في حوزة الامويين فاختار المنصور عندئذ لادارتها زيري بن عطية زعيم مغراوة أهد قبائل البربر بأساً .

البرولة المغراوية : بعد وفاة زيري المذكور خلفه ابنه المعز على ولاية المغرب ، فلبث هذا في طاعة الامويين ينشر دهرتهم ويوطد سلطانهم فيها حتى اضطرب جبل الخلافة بالاندلس سنة ٤١٧ فقطع وقتئذ ذكرهم من الخطبة وطرد محلم واعلن استقلاله ، وتولى الملك بعده خمسة من سلالته الى ان استفحل امر المرابطيين سنة ٤٦٢ حيث قضوا على ملك بني مغراوة وحلوا مكانهم على عرش المغرب .

دولة المرابطيين : نشأت هذه الدولة في جبال البربر عام ٤٥٠ ، فأخذ اميرها أبو بكر بن صهر يجاهد في سبيل الله ونوطيد الايمن في اصقاع المغرب ، وجاء بعده امرأه ساروا على خطته وعظم نفوذهم وكان لهم خدمة جلي في نشر النفوذ العربي وقطع دار القصاد واشهر هؤلاء الامير يوسف بن تاشفين ، فقد امتد سلطانها على بلاد المغرب كلها من حدود مصر الى سواحل المحيط الاطالتيكي ، وبني مدينة مراكن واخذها عاصمة للملك ، وقطع خطبة الفاطميين ، وخطب للعباسيين فوجه عليه الخطبة المباسمي المقتدي لقب (امير المسلمين)

(١) الى هذه الاسرة الكريمة ينسب السيد الادوي صاحب سير في اليمن والسيد السنوسي زعيم برقة وطرابلس . وعلى رواية ان الاخير يمت لجمه الى اسرة الخطابي

وقد عظم قعوده حتى استغاث به العرب في الاندلس فجهزها عام ٤٧٩ وسددهم جيش القرنيحة في موقع (زلاقة) فهزمه هزيمة شنعاء، ثم عا ملوك الطوائف وبسط قعوده على اكثر امارات الاندلس، مما افضى الى انتشار العرب في الاندلس حينئذ من الدهر.

وسار ابنه الامير علي الى قدم والده في بسط سلطان المرابطين ودفع غارات الافرنج فاسترد منهم مواقع كثيرة

وفي عهد الامير علي ظهرت فتنة في جبال المصادمة تدعى بالموحدين يقودها محمد بن تومرت، ما لبثت ان اشتدت قوتها وعظمت شوكتها في البلاد. ثم قتل دعاتها الامير اسحاق آخر امراء المرابطين سنة ٥٤٢ وبعثه اقترنت دولة المرابطين بعد ان لبثت قرناً ونيفاً.

وولاه الموحدين: خلف ابن تومرت في الحكم احد مريديه عبد المؤمن بن علي، فكان حازماً عاقلاً طموحاً تلقب بلقب (أمير المؤمنين) وابطل خطبة العباسيين وعمل على بسط قعوده في بلاد المغرب كلها وسبر حلة بوية وبحره الى الاندلس وسددهم جيوش الافرنج وبسط سلطانه على اكثر الامارات العربية الباقية فيها فاصبحت بلاد الاندلس كلها خاضعة له

وقد قام عبد المؤمن بعمل عظيم في بلاده لم يسبقه اليه احد في المغرب وهو مسح الاراضي وتخطيطها ووضع الخراج عليها وفقاً لمساحتها. واحداث الالعاب الرياضية ومنها الكشافة في المدارس وعنه اقتبسها القرنيحة (١).

ومن الموحدين الذين اشتهروا أمير المؤمنين المنصور بالله فقد كان ذا حزم وسياسة، جاهد في الافرنج بالاندلس جهاداً عظيماً وهزمهم مرات كثيرة أشهرها في موقعة (آلارك)، فذاع صيته واسمه حتى ان السلطان صلاح الدين الابوي طلب منه المعونة لفتح غارات الافرنج عن بيت المقدس، وقد زهت البلاد في زمنه بالعلوم والعمران، وأحدثت المعاهد الخيرية والمستشفيات ودور العجزة والمدارس، واسس مرصداً في مدينة (اشبيلية) بالاندلس. ونفع كثير من رجال

(١) ذكر نسيا باشا الوزير التركي في كتابه (تاريخ الاندلس) وأيده (تومر يارو) في مؤلفه (للعرب ومعاربة الاندلس) ان حقبة بن الحجاج والى الاندلس (عام ١١٦ - ١٢٣ هـ) أنشأ طائفة من الدرك الفرسان أعدوا قطع دابر المسلمين وتوطيد الأمن في البلاد ساهما بالكشاف أو للكشافة.

ولا ينبغي ان ننسى ان الاندلس وشاهد نظام الكشاف هذا اعجب به ايما اعجاب، وعند عودته الى المغرب انشأ من الدرك طائفة من الالعاب الرياضية كما ذكره باشا، ومنها للكشافة بعد ان قلب نظامها من القدم.

العرب وفلاسفتهم ، كان زهر وابن باجة وابن رشد وابن حزم وابن الططيل وأصبحت بلاده تسج بالمهاجرين من العرب والمسلمين ، ومن أشهر القبائل التي هاجرت اليها قبائل بني هلال العربية الشهيرة .

وبعد وفاته أخذ الوهن يتسرب الى الدولة وتقوضها فقامت الثورات الداخلية التي أدت الى استقلال بعض الامراء في المغرب والاندلس ، فبلفت مدة حكمها نحو قرن ونيف الى أن قضى عليها بنو مرين .

الرواية المربنية : على أثر انهزام جيوش الموحدين في وقعة المقاتب بالاندلس وتضعضع حكمهم في بلاد المغرب ثار أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق به يحيو المربني في مراكش وأعلن استقلاله فيها فسميت دولته (الدولة المربنية) وقد أخضعت لحكمها المغرب الاقصى والاوسط واستعان العرب في الاندلس بالمنصور بالله يعقوب اشهر امراء بني مرين فأجاز الاندلس مراراً وحادث بينه وبين الافرنج عدة وقائع كان النصر فيها حليفه ، فهابته الافرنج وطلبت مودته . وقد قطع خطبة بني حمص وخطب لنفسه وتلقب المنصور بالله وعيد مدينة (الدار البيضاء) . وسار خلفه يوسف على خطة والده لغارب الافرنج وأنشأ الاساطيل وأسس المدارس والمعاهد وبني جامع تازا المشهور وعلق به التريا الكبرى التي بلغ وزنها اثنين وثلاثين قنطاراً من النحاس الخالص وعدد كؤوسها ٥١٤ كائماً

ومن مشاهير هذه الاسرة السلطان أبو الحسن فقد كان أبعد ملوكها صيتاً وأكثرهم آثاراً بالمغربين والاندلس ، ففي عهده تم العدل ، وافتتحت للناس أبواب المعاشي والترف ، واستبحر العمران ، وظهرت المدنية بأكل معانيها .

ولما ضعف شأن هذه الدولة استولى البرتقال على سبتة وطنجة ، واختل الامن وتوقف دولا ب العمل ، فأدى ذلك الى الثورات والفتك بالسلطان عبد الحق بن أبي سعيد سنة ٨٦٩ وبقتله اقرضت هذه الدولة ، وقد كانت البلاد في عهدهم وصلت الى اوج عزها ، واشتهر من سلاطينهم أبو سعيد عثمان وأبو فارس عبد العزيز والامير علي بالعلم والادب وتبغ في عصرهم علماء فطاحل امثال خلدون وابن الخطيب وابن بطوطة وابن البناء الرياضي وغيرهم

الرواية الطوطسية : بنو طواس فرقة من بني مرين غير أنهم ليسوا من بني عبد الحق وقد استخدمهم هؤلاء في وجوه الولايات والوزارة ، ولكن لم يعضم ادارة اسرة عبد الحق في آخر

عدهم اطمع أبا عبد الله محمد الوطاس بالملك ، فثار على بني همه وتقام خطبه فدانت له البلاد وتبوا عرش المغرب . وفي عهد مؤسسها هذا وقعت كارثة الاندلس العظمى باستيلاء الاسبان عليها فتوافد آخر بني الاحمر أبو عبد الله الصغير ومئات الالوف من المسلمين الى المغرب يحملون تذكاراً يحوي ولا جرم في مطاويه أجل المظات ، وأعظم التذكارات ^(١) . فاقطع لهم سلطانها مليلة ونطوان وسلا وضواحيها ، وهذه البلاد هي واقعة في منطقة الريف الشرقي الخاضعة للأمير ابن عبد الكريم زعيم الثورة اليوم ، واستوطن الملك أبو عبد الله فاساً فأقام فيها الى أن وافاه الاجل المحتوم ، فكان أيام هذه الدولة الوطاسية أيام نحس وعزاء وضمف وشغب ، فطمع الفرنجة بملكها فاستولوا البرتقال على أزبلا وأسفى وآزمود وغيرها من الثغور ، وحدثت فتن وموريات في الداخل اودت بحياتها .

الدولة السعربية : قامت هذه الدولة بزعامة أبي عبد الله محمد على أثر فشل الوطاسيين وهزمهم عن صد هجمات البرتقال فألف الشعب حوله واشتدت شوكته وجاهد هو وخلفاؤه بالبرتقال جهاداً عظيماً كان النصر حليفه في أكثر الوقائع ، فانهجب الفرنجة عن بعض الثغور التي كانوا استولوا عليها ، ثم حاول البرتقال الكرة على بلاد المغرب فحدثت معركة كبرى في وادي المخازن اسفرت عن انكسار جيوش البرتقال وقتل مليكهم

وقد اشتهر من السعدية السلطان منصور باقدامه وشجاعته وحسن تديره ، وبلغت الدولة في أيامه الى أعلا درجات القوة والعظمة ودانت له الصحراء والسودان حتى تلبكتو ، ولم في هذه الرخاء وانتشرت المدارس وشيد آثاراً عظيمة أعظمها قصر البديع في مراكن وفي أواسط القرن الحادى عشر للهجرة وقع الشقاق بين الامرة المالكة قفصى عليها

الدولة الفيوصلية أو الواسطية : لما شعر المغاربة بغبية الحالة التي نتجت عن تطاحن الامرة

(١) حدثنا الشيخ عبد الله بن أبي العباس في تاريخه سنة ١٩١٢ باقى مرقى من سلافة بني الاحمر يحمل في حزامه مفتاح قصر الحمراء بقرطاجنة ، وروى الاستاذان السيد محمد كرد علي وميسر المجمع العلمي بدمشق وأحمد باشا زكي البعاعث المشهور ان كثيرين من جالية الاندلس في بلاد المغرب ما يرحوا الى اليوم بخلف الوالد منهم لبيه في جلة خلفائه مفتاح داره في الاندلس على أمل أن يعود أولاده اليها ذات يوم ويغتنمونها ويذلوها . وأيدت ذلك جريدة (دوقية الجبهة نائجول) الالمانية في عددها الصادر بتاريخ سبتمبر ١٩٢٤ حيث قالت : وانه قد وثان رمزي ان كثيراً من البيوت المرابية كشيعة تحتفظ بمفتاح كثير من القصور القديمة الثمينة في طليطة وقرطبة وغرناطة كأنما من كانوا يؤموا أولادها سيعودون الى سكناهم وتعود اليهم أملاكهم المفقودة ١٠ هـ

السعدية ، بإيعاز (مولاي علي الحسني) - الذي كان قد قدم في بدء القرن الحادي عشر مهاجرا من الحجاز واستوطن في تافيلالت - بالملك فاعتلى عرش الدولة القيلالية أو الحسنية التي لازال تحكم المغرب الى يومنا هذا ، ولما توفي خلفه ابنه (مولاي رشيد) فولاي اسماعيل الكبير أشهر سلاطين هذه الأسرة الشريفة ، فقد كان سياسيا ماهرا وشجاعا مقداما ، دانت لحكمه المغرب الاقصى والسودان ، وطرد الانكيز من (طنجة) والاسبان من (المرايش والمهدية) والبرتغال من أزبلا ، فهابته الملوك ، وخشيته الدول فطلبت وده وصادقته حتى انه طلب الزواج مرة بابنة لويس الرابع عشر .

وفي عهد مولاي محمد بن عبد الله فقم قرصان البحر مركبا فرنسياً أتوا به الى المراكش ، فهاجها الاسطول الترنساوي ورماعها بمدافعه ، ولكنه عاد خاسرا ، وطردت جيوش المغرب البرتغال من مدينة (الجديدة) التي كانوا استولوا عليها قبل مدة .

وفي هذه الاثناء وقع نزاع بين امراء العائلة المالكة كاد يقضى على عرشها لولا ان تداركها (مولاي سليمان) بحكمته ودرابته فأزال هذه المفاداة وسوى الخلاف وأعاد للمملكة عزها وعجدها وعاد الأمن وم العدل في البلاد . ومنع القرصان فأحبته أوروبا وصادقته دولها حتى انه أرسل سفيرا الى نابليون الاول امبراطور فرنسا ، واستعجكت حلفاتها حتى أيام مولاي محمد فقد كانت بينه وبين نابليون الثالث غمبرات ودية كثر على أثرها قدوم التجار الترنساويين الى المغرب فنعمهم مولاي محمد وقيهم من الثمنجة واليهود امتيازات دينية وتجارية ، كانت هذه سببا غير مباشر لطمع الترنيس في مراكش

ولما جلس مولاي عبد العزيز على عرش المغرب تحفزت فرنسا لبسط قوذها على هذه البلاد ، فكانت انكثرا واقفة لها بالمرصاد خفية من اقترابها الى جبل طارق ، ولما حل عام ١٩٠٤ جرت مذاكرات بين انكثرا وفرنسا أسفرت عن توقيع هدة في ٨ ابريل نصت المادة الاولى منها على نازل فرنسا عن حقوقها في مصر لأنكثرا ، والمادة الثانية على ان فرنسا لا ترغب في اجراء تبديل الحالة السياسية في مراكش ، وان بريطانيا تترف بأنه من شأن فرنسا أن تسهر على سلامة تلك البلاد (أي مراكش) وان تقدم لها جميع ما تحتاج اليه من المساعدات الادارية والاقتصادية والمالية والاصلاحات العسكرية ، وأنها - أي بريطانيا - لا تمنع في بسط قوذ فرنسا على مراكش بشرط المحافظة على حقوقها وامتيازاتها

وفي شهر أكتوبر من السنة قسما عقد اتفاق بين فرنسا واسبانيا حددت فيه مصالحهما في مراكن ، فأحدث ذلك ضجة كبرى في الاندية الالمانية ، واعتبرته الحكومة الالمانية عملا مغائرا لنصوص معاهدة برلين ، وسافر على الاثر الانبراطور فليوم الى طنجة وصرح هناك بأنه قادم لزيارة سلطان مراكن المستقل الذي ينظر الى حقوق الدول وامتيازاتها بنظر المساواة ، وطلب وضع المسألة المراكشية على بساط البحث ، فأذعنت فرنسا حينذاك ووافقت على عقد مؤتمر دولي عام لوضع حد نهائي لهذه المشكلة ، فعقد المؤتمر في الجزيرة - احدى مدن الاسبان - حضره مندوبو الدول جميعها ، ووضع في ٧ ابريل ١٩٠٦ عهدة تحتوي على ١٢٣ مادة جاء فيها :

١ - الاعتراف باستقلال السلطان

٢ - المحافظة على كيان المملكة المراكشية تحت حماية فرنسا

٣ - الحرية التجارية للدول الموقعة وغيرها من المسائل .

على ان المراكشين رفضوا الخضوع لمقررات المؤتمر ، فقامت ثورة بزطامة لرسولى ارسلت فرنسا على أثرها قوة لاجلادها ، ونحلت العوجاء والدار البيضاء والشاوية ، وجاءت اسبانيا على الاثر لحشدت قوات في مليلة وسبتة ، فازداد اذذاك شغب المزاربة ، فغفموا السلطان عبد العزيز عن كرمى المملكة وولوا مكانه مولاي عبد الحفيظ . فطادت المانيا اعتراضها بكل حدة وجرت مذاكرات بين مندوبي فرنسا وألمانيا للاتفاق فلم تسفر عن نتيجة حاسمة .

وفي مارس سنة ١٩١١ هاجمت القبائل مدينة فاس ، فاستجد السلطان بالجنود الفرنسية ، فارسلت فرنسا قوة لحماية السلطان احتلت في شهر مايو فاس ، وفي الوقت نفسه احتلت الجنود الاسبانية المراكش ، فعقدت المانيا هذا العمل منارا لانتهازية الجزيرة ، وارسلت اسطولها الى (أغادير) وعقد على اثرها مؤتمر في الجزيرة يوم ٤ نوفمبر ١٩١١ اعترفت بموجبها ألمانيا :

١ - بحماية فرنسا على مراكن لقاء تدنزلها لالمانيا عن ٢٧٥٠٠ كيلو متر في الكونفو .

٢ - ان تحتل فرنسا أى مقاطعة في مراكن تراها مناسبة لحفظ الامن .

٣ - ان تمثل فرنسا السلطان بأموره الخارجية .

٤ - حرية التجارة في هذه البلاد .

وبعد انقضاء المؤتمر وفدت معاهدة يوم ١٢ مارس ١٩١٢ بين مراكن وفرنسا اعترف سلطان المغرب بموجبها ان بلاده دخلت تحت حماية فرنسا ، فنار الاهلون على الاوربيين في فاس

وقتلوا ٦٨ منهم فبعثت فرنسا بالجنرال ليروي لاختاد الثورة ، وحدثت بينه وبين المغاربة معارك انتهت بفشلهم وتنازل مولاي عبدالحميد عن العرش ، فتنبأ مكانه مولاي يوسف السلطان الحالي وكانت اسبانيا تدمي حق الحماية على جانب من المغرب الأقصى فاتفقت هي وفرنسا في نوفمبر من تلك السنة على تحديد مصالحهما ونصيب كل منهما من تلك البلاد .
ثم حدثت ثورات عديدة في الحرب العامة وبمدها يطلع عليها القارئ في الفصول التالية .

اسبانيا والمغرب

قد يظن السواد الاعظم ان الحرب التي نشبت بين اسبانيا ومرا كس قد بدأت منذ اقتسام اسبانيا وفرنسا للمغرب الأقصى أو أنها وليدة الحرب العامة التي هزت نفوس الشعوب والامم وأزالت الغشاء عن نيات المستعمرين ، فوقع الاصطدام بين المستعمر (الفتح) والمستعمر ولكن الذين يتعمقون مجرى الامور في هذه البلاد يجدون أن النضال بين الاسبانيين والمغاربة قديم جداً يرجع الى القرون الاولى من التاريخ ، وذلك لان الطبيعة التي اوجدت هاتين المملكتين متماختين لا يفصل بينهما الا بحر الرقاق الذي يترامى الساحل منه قد كونت من المغاربة جسراً للقائمين والمستعمرين يجتازونه الى بالدوة الاوربية — أي الاندلس — وقد ذكرنا التاريخ أن جيوش الفينيقيين والقرطاجنيين التي هاجمت الاسبان في عقر دارهم واستعمرت القدم الجنوبية منها كانت من المغاربة ، كما انهم كانوا عضد موسى بن نصير وطارق بن زياد ونهبرها القوي وسلاحهم القاطع في فتوحاتهم العظيمة الامبانية وتشيددم لبنيان الدولة العربية ولما عزقت الوحدة ونشبت الكلمة في الاندلس وصار الامر الى ملوك الطوائف فاستأسد الفرنجة استصرخ الاندلسيون اخوانهم من وراء البحر فواقم مدد المرابطين وأجاز يوسف ابن تاشفين وأعاقبه الى الاندلس بمجيوشه فردوا عادية الفرنجة واسترجعوا كثيراً من البلدان . ولما قامت دولة الموحدين اقتدى عبد المؤمن بسلفه في الجهاد واعمل السيف في رقاب الاعداء فرد كيدهم في منحرم

وكذلك قرر من بعد هؤلاء بنو حمص ومرين فامدوا اخوانهم في الاندلس بالمال والرجال وهكذا دواليك فكانت الاجازة والجهاد اذ ذاك شان ذوي القرابة من ملوك المغرب فامتثلت

الاندلس بأقبال القبائل والامراء من المغاربة

ولما وقعت السكارنة الكبرى التي أفضت الى جلاء العرب من الاندلس سنة ٨٩٧ (١٤٩٢) واقتلاب فلوطها، رتدة الى مرا كس، أعظم ملوك الكاثوليك - وهو الملقب الرسمي لمملوك الاسبان - ملاحقة هذه القبائل والتبسط فيها وراء جبل طارق، فوضعوا خطة للاستيلاء على بلاد المغرب حتى تغرم مصر، فأقبلت الحرب بين اسبانيا والمغرب من ذلك الحين الى دفاعية من الجانب الافريقي بعد أن كانت هجومية. ولكن مناجم اميركا وزوئها استهوت الاسبان. فصرفوا النظر مؤقتا عن المغرب واكتفوا بالتزول في بعض الثغور ككيلة وسبتة بعد أن صالحوا قبائل مرا كس وعقدوا معاهدة مع سلطانها

وفي أوائل القرن العاشر للهجرة خرج خير الدين بلشاي بربوز و اخوه (أروج) غازين في البحر وحاصرا تلمسان فأحتضنت صاحبها بفارل كان ملك اسبانيا فمدته بقوة عظيمة؛ ولكنه غلب على أمره فأقلب خامساً

ثم حاول الاسبان امتلاك المغرب الاوسط والادنى وجردوا حملات متتالية لغزوها؛ فكان خير الدين بربوز يتصدى لهم بمساعدة سكانها من المغاربة وحدثت بينهما حروب عديدة كانت سجالا الى أن تمكن بربوز من طردهم نهائيا فأحتول على المغربين وألحقهما بملاك آل عثمان وفي أواخر القرن العاشر للهجرة (١٦٠١) انضم الكثير من مهاجري عرب الاندلس الى القراصنة للانتقام من الاسبان؛ فتوالت هجماتهم على ساحل الاندلس وتهاقم خطبهم، فوجه الملك فيليب اذذاك قوته الى اضطهاد البقية الباقية من عرب الاندلس فقام هؤلاء بثورة عظيمة كادت تسفر عن استرداد الاندلس من الاسبان^(١) ولكنها لم تثبت أن سجدت نارها فطرده البقية الباقية منهم الى افريقية ثم جبر حجة على المغرب الاوسط فأحتول على تونس، ثم استردها الترك من بعد بضعة اشهر، فسار جيش الاسبان منها الى العراق من ثغور مرا كس لامتداد للسلطان محمد الشيخ من السعديين واقتاذه من الثوار. فاحتلها الاسبان وبقوا فيها الى أن

(١) بقي الحرب منذ سقوط غرناطة ٨٩٧ هـ (١٤٩٢) سجالا بين العرب والاسبان في الاندلس الى أن جاءت سنة ٩٧٨ هـ (١٥٧٠) نتجت الحكومة الاسبانية الخناق عليهم ونكلت بهم، ولكنها بذلك التفتون قوت عصبيتهم، ووجدت كلتهم، فتحصنوا تحت راية زعيم من بقايا الامويين اسمه (ابن أمية)، وحاربوا الاسبان حروبا شديدة ثم مالحت تلك القوة ان تكت زعيمها وأقامت عليها ملكا آخر اسمه (عبد الله بن أبو)، وقال مؤرخو الفرنجة انه كان يجمع في كعب القوة الاسبانية، لولا ان كلمة القوم تفرقت ووحشهم تشعبت، ثم ضيق الاسبان الخناق عليهم حتى اباحوهم من آخرهم في سنة ١٠١٩ هـ (١٦١٠)

دحرم عنها مولاي اسماعيل الكبير سنة ١١٠٠ هـ (١٨٨٨)

ثم توالى المناوآت بين الاسبانين والمغاربة حول الموانئ الساحلية بجزراً وبراً نحو مائتي سنة دون أن يتمكن الاسبان من التوغل في داخل البلاد المغربية الى ان احتلت فرنسا الجزائر سنة ١٢٤٦ (١٨٣٠) فبذلت اسبانيا جهوداً عظيمة لاقصائها عنها ومدت الامير عبد القادر بمساعدات كبيرة وحرضت المراكشيين على معاونة اخوانهم الجزائريين

ولما اخضعت فرنسا الجزائر وعقدت مع مراكش سنة ١٢٦١ (١٨٤٥) حددت بها الترخوم بين الجزائر ومراكش ، أصبحت الدول تهتم اهتماما كبيرا لشئون مراكش وتسايق الى توسيع نفوذها فيها كما سئذ كره في مسألة طنجة ، فكانت اسبانيا في مقدمة هذه الدول التي جعلت قضية مراكش من القضايا الاولى في مسائلها الخارجية

ثم جاء مؤتمر الجزيرة الذي عقدته سنة ١٩٠٦ ففرض على استقلال المغرب الأقصى رغم ارادة الاهالي ، وجزأه الى مناطق سلطة ونفوذ . وكان نصيب اسبانيا من هذه التفتية المقاطعة الريفية وما جاورها من الجبال الفاحشة ، وما بقي من البلاد المراكشية قد دخل في حيازة فرنسا ونفوذها

ولكن اسبانيا رغمًا عن قرار المؤتمر فأنها لم تنحرف على احتلال الريف الى سنة ١٩٠٩ حيث أزلت فرنسا جنودها في منطقة نفوذها وأجبرت في تنفيذ الخطة التي رسمتها فاضطرت وقتئذ للقيام بنفس العمل في منطقتها الريفية فأرسلت جيشا الى مليلة وسبتة والرياش لاجل حماية الولاية فأبى الريفيون قبولهم والتخلى عن بلادهم المستعمرين ؛ ورأوا اذا المصلحة كل المصلحة في المدافعة عن كيانهم وأوطانهم فمقدوا العناصر على مقارعة كل من يجب اخضاعهم وثاروا قبائل انجرة وجبالا^(١) بزمامة الريسولي^(٢) المشهور فشرعت السلطة الاسبانية في معالجتهم تارة بالعنف

(١) مطن قائل انجرة في الثلث الواقع بين سبتة وطنجة وتطوان ، وقائل جبالا على سواحل نهر القنص الذي يصب عند نهر الرياش

(٢) الريسولي - هو مولاي احمد بر محمد بن الريسولي الزعيم المراكشي المشهور وقد سنة ١٢٨٤ (١٨٦٧) طما شب أحد بنو جيرانه ، ولما تلقاه شره قبض السلطان عليه وسجنه خمس سنين في (موطادور) وبعد خروجه من السجن اخطف مراسل جريدة التايمس في طاجية وأشخاصا آخرين ولم يطلق سراحهم الا بعد أن أطلق السلطان ستة عشر من رجاله كانوا رهن السجن وفي سنة ١٩٠٤ اختطف امريكيين قتال لواء الاطلاق سراحهما فدية قدرها ١١ ألف جنيه وعينه السلطان حاكما لمنطقة طنجة ولكن السلطان اضطر أخيرا الى ايقافه فنادى الى الجبال واعطى معيانه مرة أخرى وفي سنة ١٩٠٧ أسر السير هنري ما كايين الانكليزي قائد جيش سلطان مراكش فبقى في

والصرامة وطورا بالبين والسياسة فلا الصرامة أدهبتهم ولا السياسة ألأتهم فظلوا حتى أوائل الحرب العامة حيث اتفقت السلطة مع الريسولى وأطلقت عليه لقب أمير الجبل ومدته بالذخائر والأسلحة واغدت عليه الاموال؛ ولكنه بدلا من أن يحقق أغراضها اتفق في زمن الحرب مع ضباط فرقة الألمان - الترك لنشر الدعاية ضد فرنسا في مرا كس فبقي يناويء الاسبان من جهة ويبيت الدعاية ضد فرنسا من جهة ثانية بالاشتراك مع الامير محمد بن عبد الكريم الخطاطبي بطل الريف اليوم والامير عبد المالك الجزائري^(١) الى أن عقدت الهدنة سنة ١٩١٨ حيث هيئت اسبانيا الجزائر برافير مندوبا ساميا بفرقة حملة على الريسولى وقبائله اسفرت عن اخضاعه واحتلال مدينة شيعوان

وبينا كان الجنرال المندوب يقوم بهذا العمل في المنطقة الغربية ، كان معاونه الجنرال سلفستير يتبها لقيام بنفس العمل في المنطقة الشرقية التي يرأسها الامير ابن عبد الكريم ، لحدثت الثورة المنظمة وضرب الامير الخطاطبي الاسبان القسرة المؤلفة التي لا يزال صدها برن في أربعة اركان المعمور على نحو ما سندكره بالتفصيل

أسره عدة شهور ولم يطلق سراحه الا بعد ان اتحدى بمشروع الف جنيته ثم قام بثورات مختلفة كان لبعضها التأثير على مصير بلاده . وفي فبراير ١٩٢٥ دفع الحسد الى مناداة بطل الريف فاسره وجال عبد الكريم ومات في الاسر وفي ابريل سنة ١٩٢٤ حاول الاسبان ان يستميلوه ويدفعوه الى قتال الامير ابن عبد الكريم فيضربوا البلاد بضوا يخش وذلك بان يمتنوه خليفة السلطان في المنطقة الاسبانية ويجعلوه صاحب السلطة العليا في الاراضي الريفية ، ولكن حركتهم هذه اخلت لاسباب جهة أهمها ايد مولاي يوسف الذي لا يزال صاحب السلطة الفعلية على البلاد لاحتراف بهذا الخليفة ، ولان صداقته مع ابن عبد الكريم متينة جدا ، ولذلك فضل الانسحاب ظاهرا من الميدان ولومن سرا لقبائله بمساعدة اخواتهم تقاتل في وجه الاسبان واحمت السيف في رقاب جيوشهم .

(١) الامير عبد المالك — هو نجمل الفريق محمي الدين باشا عضو مجلس الشيوخ الثاني السابق ، ولد في دمشق واتم تحصيله في مدرسة بيروت للتجيزية ، ثم التحق بقصر (يلديز) مرافقا لسلطان عبد الحميد . ثم من الاستانة على اترساسة رقت له ، وجاء الى الاسكندرية ومنها الى جبل طارق فالترب الاقصى ، فبقي هناك الى أن سمحت له الحكومة الفرنسية بالعودة الى الجزائر فاد الهيا وانتظم في سلاح الجيش الافرنسي فيما ثم عين قائدا لقوة القسرة للرا كشي في حاجة ، وهي القوة التي قضى مؤتمر الجزيرة بتأليبها ، وعند ما اندثت الحرب العامة فر الامير عبد الملك الى الحدود ودخل السلطة الاسبانية وجبل بت الدعاية لالمانيا ويحرض القبائل ضد فرنسا . وبعد انتهاء الحرب العامة هيئت السلطة لاسبانية حاكما على قبائل صنهاجة وبقي في هذا المنصب الى اواخر عام ١٩٢٣ . اماعلاته مع مولاي ابن عبد الكريم صير حسدا لى هي سيرة جدا ، فحدث في أول نهضة ان كتب الى الامير عبد الملك يطلب اضمائه الى قوته ليكو ايدا وحدة فر من عد ذلك هذا الطلب بشدة وغلف لرسول الحطاني بالجواب وهدده ان هو عاد اليه مرة ثانية . لان عبد الملك لا يحب ان يظهر غيره في الميدان ، ثم حل بين حين وآخر يمرض على السلطة الا . ان ان يتولى قيادة الجيوش الاكسيه لمحاربة بطل الريف فقلت السلطة منه ذلك في النهاية ، وذهب بالانسائل التي خدمها من المستزدة الى ملية وقام بهجوم شديد على محمدي الحرب في شهر سبتمبر سنة ١٩٢٤ سقت من قوه صريحا في أول معركة .

— مسألة طنجة —

لم تكن طنجة مدينة كبيرة تلتفت الانظار اليها ، وانما هي مدينة صغيرة في حين الناطر ، وكبيرة جداً عند رجال السياسة بموقعها الجغرافي الذي جعلها صالحة لأن يكون لها مرفأ عظيم على ساحل بحر الروم ، بالقرب من جبل طارق ، فهي من هذه الوجهة ذات أهمية عظمى في نظر الانكليز الذين يعملون ليل نهار للسيطرة على جميع الطرق المؤدية لهند ، ولم تكن هذه الأهمية أقل شأنًا ولا أدنى منزلة في نظر ساسة فرنسا واسبانيا الذين يعلقون على وجودها في الساحل المراكشي واسم الآمل في أمثال تجاراتهم بمستعمراتهم .

ويبلغ عدد سكانها اليوم نحو أربعين ألفاً وهي من المدن التي لا تزال منمنمة بطرازها الشرقي رغم مناعتها للقارة الأوروبية ، واحتكاكها بأهم شتى ، وقد استولى عليها البرتغاليون سنة ١٨٦٩ (١٦٥٦) وأهديت الى كاترين أوف رجايز عند زواجها من شارل الثاني ملك انكلترا سنة ١٨٧٥ (١٦٦٢) ، فأصبحت طنجة انكليزية ولكن مولاي اسماعيل الكبير أخرجهم منها عنوة سنة ١٨٩٥ / ١٨٨٢) وحاصرها الفرنسيين سنة ١٢٦٠ (١٨٤٤) لمناسبة مساعدة المراكشيين اخوانهم الجزائريين في ثورة الأمير عبد القادر الحسيني

ويقع فيها الاك كثر من معتمدي الدول والسلطين المخاويين من امراء المسلمين في المغرب الأقصى أمثال مولاي عبد المزز

وقد بدأت تكتسب هذه المدينة صفتها الدولية بعد ما عقدت المعاهدة البريطانية المراكشية سنة ١٢٧٣ (١٨٥٦) ، والمعاهدة الاسبانية - المراكشية سنة ١٢٧٩ (١٨٦١) فقد اعترف السلطان في هاتين المعاهدتين بالامتيازات الاجنبية ، ومنع اتفاق مدريد سنة ١٢٩٧ (١٨٨٠) هذه الامتيازات لبقية الدول الأوروبية صاحبة المصالح في مراكش .

وفي سنة ١٣٢٢ (١٩٠٤) عقدت معاهدة بين اسبانيا وفرنسا اعترفت المادة التاسعة فيها بأن تكون لمدينة طنجة (صفة خاصة) ثم جاء بمدها مؤتمر الجزيرة سنة ١٣٢٤ (١٩٠٦) فتوسع في تفسير هذه الصفة بحيث جعلها (دولية)

وفي سنة (١٩١٢) بسطت فرنسا حمايتها رسمياً على مراكش بموجب معاهدة عقدتها مع مولاي عبد الحفيظ ، وتأيدت في احدى فقراتها (المادة الخامسة) التي اعطيت لطنجة فيما سبق ، ثم جاء اتفاق مدريد الذي عقد في السنة نفسها بين اسبانيا وفرنسا فنص على أن يوضع لمدينة طنجة نظام خاص يمين فيها بعد .

وكان الاتفاق الفرنسي الألماني الذي عقده سنة (١٩١١) على أثر حادثة أغادير (١) قد نص على عدم مد خط حديدي من أي ميناء في مراكش قبل عرض انشاء خط من طنجة الى فاس على الطالين .

وفي سنة ١٣٣٣ (١٩١٤) وضع مشروع لنظام هذه المدينة قبلته فرنسا وامتنعت اسبانيا عن قبوله ، ثم جاءت الحرب العامة فانصرفت الدول عنه الى مهاغل الدفاع الوطني .

ولما وضعت الحرب أوزارها وتنازلت ألمانيا بموجب معاهدة فرساي عن حق للتدخل في شؤون مراكش حاولت فرنسا بسط سيادتها على طنجة فاعتضت اسبانيا وبريطانيا على هذه المساعي ودارت مفاوضات بين هذه الدول في ماي (١٩٢١ - ١٩٢٢) لحل هذه المشكلة لم تسفر عن نتيجة حاسمة .

وفي سنة (١٩٢٣) تم الاتفاق بين هذه الدول الثلاث على نظام طنجة في المؤتمر الذي عقد في لندن يقضي بمبدأ (منطقة طنجة المراكشية) - وهو الاسم الرسمي الذي اعترف به زمن الحرب - وجعلها ميناء مفتوحاً لتجار الأمم كلها ، وبضم شقة من الأرض من جهة طنجة الى المنطقة الاسبانية ، وبمنح منطقة طنجة المراكشية نظاماً ذاتياً واسع النطاق ، وبجري فيها الحكم باسم السلطان بواسطة « بلدية دولية » ينتخب أعضاؤها من رعايا الدول الثلاث - فرنسا واسبانيا واكثرها - ومن رعايا الدول الاخرى ذات المصالح فيها ، ويكون رعايا السلطان من العرب واليهود ممثلين فيها أيضاً ، وتكون هذه البلدية تحت مراقبة مجلس يسمى (مجلس المراقبة) يرأسه من قضاة الدول ومن يمثل السلطان ، الى غير ذلك من المسائل .

هذه خلاصة لتاريخ الاستعمار في طنجة بل وفي مراكش كلها بسطها هنا لتعلقها بالموضوع الذي نحن بصدده .

(١) حادثة أغادير - بينما كانت ألمانيا تعد هبتها لتنفيذ سياستها الاستعمارية ، كانت فرنسا تعمل من جهة ثانية ليعطى نفوذها على مراكش ، فرادت ألمانيا ان تازعها هذه البلاد وباتت تبين الفرنسي ذلك الى ان هزمت روسيا طيف فرنسا ، تلك الحرية للشعب في موقعة مكند سنة ١٩٠٥ في الحرب الواقعة بينها وبين اليابان ، فأصرح طاهل ألمانيا الى زيارة طنجة ، واطمن ان حكومت لن توافق على أي تمييز في ادارة المغرب الاتقى من غير رضاهم وقاها لبرارات مؤتمر برلين ، ضد كل الاثر . مؤتمر الجزيرة سنة ١٩٠٦ وقرار اقرار استلال مراكش وتكليف فرنسا بالحفاظ على الاطمان . على انه في سنة ١٩١١ عاد الاقتراح على اثر ارسال فرنسا جيشاً لاحتلال عاصمة مراكش ، فقد احدثت لآيا احتجاجاً وعززته برسائل اسطول الى (اغادير) لصيانة المصالح الالمانية ، وفاد الامر يؤدي الى نشوب حرب اوروبية لولا ان روح السالة ولاستدال . و مؤتمر الجزيرة الذي عد في السنة نفسها اطلق بفرنسا في مراكش نظير الانزال من جزء من الكونفرنس الفرنسية الى ألمانيا .

الفصل الثاني

سيرة الامير

﴿ مولده ونسبه ﴾

في أوائل هذا القرن - أي الرابع عشر للهجرة - ولد الامير محمد بن عبد الكريم في مدينة (مليلة)، تلك المدينة التي تقطنها الالوف المؤلفة من اخلاف ملوك العرب الذين هاجروا من الاندلس عقب الكارثة العظمى . وهو اليوم في المقعد الرابع من عمره ، ويعت بنسبه الى أميرة (الخطافي) من بيوتات الريف الكبيره ، وصاحبة الرامة في قبيلتها (بنى رور ياغل) . وقد اشتهر كثير من أفراد هذه الدائلة في قتال الاسبان شهرة عظيمة نخص بالذكر منها السيد احمد امزيان بطل معركة مليلة التي وقعت سنة ١٣٢٩ (١٩١١) ضد المستعمرين الاحباش فقد أبلى السيد احمد المذكر في تلك الواقعة بلاء عبيداً ، وجشم الاعداء الحسائر القادحة . وقبيلة الامير - أي بنى رور ياغل - تقطن في الشمال الشرقى من بلاد الريف ، وهي أكبر قبائله عدداً وأعظمها شجاعة .

أما والده السيد عبد الكريم فقد كان قاضياً شرعياً بمدينة مليلة وهو من المعروفين بين أترابه بالعلم والتقوى . ولم يتزوج الامير الا بعد نهضته هذه ، وليس له أولاد اليوم .

﴿ نشأته ﴾

شب الامير في مدينة مليلة وترعرع في حجر والده الذي كان استاذاه الاول ، حيث درس مبادئ العلوم عليه وأنتم تعليمه الاول في مدارسها ثم سافر الى فاس ونال من مدارسها اجازة العلوم الدينية ثم قتل راجعاً الى مليلة والتحق بمدارسها الاسبانية فظهرت اذ ذاك مخايل نبوغ الامير ونجايته وحاز على دبلوم مدارسها الثانوية في مدة قليلة وبز اقرانه في التحصيل والدرس ، وبعد خروجه من المدرسة بقى عطلاً من الاعمال فترة من الزمن ، فالتقت نفسه العظيمة خلالها الى الازدياد من العلم فسافر الى اسبانيا والتحق بجامعة (سلبنكا) وتحصل منها على شهادة الحقوق

والآداب ولقب (دكتور) فيها ، وفي أيام العطلة الدراسية انكب على دراسة تاريخ العرب في الاندلس وساح في بلدانها ، وشاهد آثار أجداده الغالية التي لازال تطلق لعظمهم وحضارتهم قننيت في نفسه هواطف القومية وفاض قلبه حزيناً وتذكراً كان فيها بعد سيباً غير مباشر للانتقام من أعداء أمته .



— أحدث صورة الأمير ابن عبد الكريم —

﴿ أوصافه ﴾

قصير القامة ، بدين الجسم صبوح الوجه مستديره ، اسود العينين ، حاد النظر ، ذو شعر أسود ولحية خفيفة تبدو على عيائه دلائل الآين والرفقة ، يلبس الثمامة والجلباب المغربي وكثيرا ما يترى باللباس الافرنجي ويضع النظارات على عينيه . وليس للأمير علامة خلقية يتميز بها سوى امرين احدهما يدها البيضاء والىضواوان الباعتمان والثاني عيناه السوداءوان الثتان يهز نظرها القلوب .

﴿ أخلاقه ﴾

ضحك الوجه لين المريبك ، يحب المبادرة ويكره التواني ، قليل الكلام كثير العمل يشغل ست عشر ساعة كل يوم دون أن تظهر عليه دلائل الملل والكسل . وهو ذو شخصية بارزة واردة قوية ، فإذا نظر اليه الانسان لأول وهلة لابد ان يحار في ان يكون لهذا الرجل الطيف المظاهر ذلك التأثير العظيم على قبائل الريف الشكسة .

وهو فارس ماهر لا يرهب الحوادث ولا يضطرب للنوازل بقود في أكثر الاحايين الثوار والجيوش بنفسه ، ويتقدم الى خطوط الحرب الامامية دون ما أكثرات أو وجل . وقد أحيط بمصاعب تقوق مصاعب معطى كمال بطل الترك وارتابه فذلها بعزمه وحزمه واخذ المغرب من اضمحلال عثم .

﴿ نبوغه ومواهبه ﴾

الامير ان عبدالكريم رجل حر الضمير ، نقي الاخلاص ، وثيق الایمان ، ديمقراطي النزعة ، محبوب على حب الاستقلال : خمس صفات لم نشاهدها مجتمعة في كثير من عظماء التاريخ ولكن الله جمعها في شخص هذا البطل فتجلت فيه الروح العربية المجيدة في أحسن مظاهرها ، والنبوغ الشرقي بأنهم معانيه .

وللأمير خبرة واسعة في الاحوال المعصرية ، ومعرفة كافية في الاساليب العلمية والفنية نم على نضوج الفكر ورجحان العقل ، وهذه الميزة وتلك الصفات هي التي رفعت الى درجات الابطال النوايرغ الذين يختارهم العناية الآلهية بين حين وآخر لاهاذ البشرية المتألمة فيتقلدون تارة سيفاً ينقذون به شعبا كاد الظلم يودي بحياته ، وطوراً قلماً يرشدون به الانسانية الضالة .

وقد أظهرت الحوادث والاایام ان مولای الخطابي هو نائبة هذا المعصر وبطله العظيم الذي

ارسله الحق جل وعلا لتخليص الشعب الرقيق من ظلم فلاح وشر مستطير .

﴿ قبل الحرب ﴾

على أثر هودة ابن عبد الكريم من اسبانيا قبيل الحرب واثباته من الدراسة عين قاضيًا مدنيًا لمدينة مليلة وماد الى هذا المنصب بعد الحرب ولم يزل فيه الى أن قام بحركته المباركة ، وقد كان طيلة هذه المدة يرقب عن كثب أعمال المستعمرين في بلاده ويقاهد المناكر التي يأتونها محالهم ، ويعمل على الخفاء على احباط مساعيهم ، ما استطاع الى ذلك سبيلا : تارة بالمياسة ، وآونة بالصراخه .

وقد كان يجب بالغباب ومافي سياهم من دلائل السرور فيجالسهم ويخاطبهم ويث فيهم روح الاستقلال ، روح النمرد ، روح الثورة ، ويحب اليهم الجندية ودرس فنونها فدخل المئات منهم مدارس الحرية ونفأوا ضباطًا كاتوا له اليد الكبرى في تدريب جيشه اليوم .

﴿ في الحرب العامة ﴾

ولما اعلنت الحرب العامة ارسلت المانيا والترك سنة ١٩١٦ فرقة من الضباط نزلت في احدى موافي الريف الاسبانية لاثارة القلاقل والشغب على دول الحلفاء في مستعمراتها ، حينذاك ظهر ابن عبد الكريم الى الميدان وانضم الى هذه الفرقة وبدأ يعمل على مماكة قرانسا وغيرها واثارة القلاقل والثورات ، وأعان اولئك الضباط واختلط بهم ، فاستفاد من خبرتهم العسكرية ومعلوماتهم الحرية استفادة كبرى ، ولكن الاسبان ظلت فيه السوء وغافت مشية الامور ، لانه من اصحاب الكلمة المسموعة بين قومه ، فاعتقلته مدة ثم اطلقت سراحه ، وادخلته في سلك الجندية فعينه ضابطًا في الوزارة الحربية .

﴿ بعد الحرب ﴾

وفي سنة ١٩١٨ عقيب الهدنة وقعت قلاقل في منطقة الريف قرأت وزارة الحربية ضرورة لارسال الامير الى هناك للاستفادة من خبرته وهوذه فالتحق بفرقة الريف ، وقد أظهر وقتئذ حنكة ودراية لفتت الانظار اليه بحيث سمى جهده طاقته ليوفق بين مصلحة قومه وسياسة الاسبان ، وتعمل من جراء ذلك صعوبات كثيرة وعرض نفسه للمهاك ولكنه لم يفلح ، ففضل وقتئذ الاستقالة من الجيش فاستقال وماد الى منصبه - قاضيًا مدنيًا - في مليلة يهيئه نفسه ليوم

العظيم . وقد حاز خلال هذه المدة من دولة اسبانيا وسامات عديدة مكافأة على أعماله العظيمة التي قام بها . وتوصل بنبوغه وذكاؤه الى درجة (كابتن - أي رئيس) في الجيش في مدة قليلة جداً

﴿ أسباب الثورة ﴾

كان الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي قبيل قيامه بالثورة قاضياً مدنياً في ملية كما ذكرنا فيما تقدم ، وهي بلدة احتلها الاسبان منذ أمد طويل وانخضت السلطة ممسكراً لجيش المنطقة الريفية الشرقية بقيادة الجنرال سانشيز الذي وقع قتيلاً في الحركة الاولى من ثورة الريف المعروفة بمعركة عريت - اوال وذلك سنة ١٩٢١

وقد ترمع الامير في هذه البلدة ونشأ فيها وسمع اذ ذاك تهديدات بني قومه وشاهد بألم عينه ما قعله جيوش المستعمرين المحتلة من الماكر والأكام فأوجدت في نفسه بغضا جعلته يتحين القرض للإيقاع بهم والانتقام للاندلس .

وبينا كان ذات يوم يسير في إحدى شوارع ملية اتفق ان شاهد حريقاً (جابوش) اسبانياً يضرب بالكراج ريفياً ضرباً مبرحاً ، والربى يستغيث ولا يذات ، فأخذ الامير اذ ذك وتقدم من الاسباني سائلاً عن السبب الذي حمله على اقتراف هذا القتل المنكر ، فأجابه الاسباني بكل غلاظة وعنف ، بأن دابة هذا الربي قد لكته يده !!! لمحاول الامير أن يهديه من روح الريف الاسباني ، ويردعه عن عمله المغيث فلم يفلح .

﴿ مؤمن الكراج ﴾

ولما رأى الامير تعصب الاسباني في فكره ، وشدة عناده تركه وذهب تَوَّأ الى مقر القائد العام حيث قص عليه الحادث كما حدث وطلب اداة الريف الاسباني تهديته للخواطر الهائجة ، وأبان سوء مقبة هذا العمل الذي يسيء بسمعة اسبانيا ، ان هو تواني في تجزية المعتدي فقال له القائد : ألا تدري أن الاسباني مهما كانت منزلته وطبقته هو سيد هذه البلاد ؟ فأجابه الامير حينذاك بكلمته الذهبية المأثورة التي ستبقى مثلاً للمستعمرين ابد الدهر وهي :
« وأنت أيضاً ألا تدري ان هذا الكراج سيكلف اسبانيا ثمناً باهظاً ويحملها عبثاً ثقيلاً »
ثم ترك القائد وخرج حاقاً غضباً

﴿ الانتقام للاندلس ﴾

خرج ابن عبد الكريم من لندن القائد الاسباني ووجهته مقر قبيلته (بني رورباغل) التي تقطن في الضواحي ، فاجتمع هناك بفريق من أصدقائه المخلصين الذين يثق بهم كل الوثوق ، ولا يتجاوز عددهم العشرة ، وحادثهم بالحدث الجلل وأفصح لهم عما يكتنه قواده من الانتقام للاندلس . والقيام في وجه اسبانيا تلك الدولة الفاتحة التي قضت على ملك العرب في الديار الاندلسية ، وجاءت اليوم تريد القضاء على بلاد المغرب وحربتها واستقلالها . واستهض همتهم وأغار نخوتهم . وسألهم عما اذا كانوا يشاركونه في ثورته أم لا ؟ فجابوه كلهم بلسان واحد بالإيجاب وأقسموا بمين الكتمان والدفاع عن الاستقلال حتى النفس الاخير . فكان قسما عظيما . . .

﴿ الرصاصة الاولى ﴾

ثم انسل كل واحد منهم الى ناحية من المدينة والتفت بندقيته مع خراطينها وماد الى المكان المعين . وفي المساء اعتصموا بأقفة من أكامها ، حيث بدأوا يناوئون العدو . فخرجت الرصاصة الاولى ، رصاصة الانذار يوم ١٤ ذى القعدة ١٣٣٩ (٢٠ يوليو سنة ١٩٢٠) هاجم هؤلاء العشرة وعلى رأسهم ابن عبد الكريم بأدوية بدوية غفرا من غفرا من غفرا الاسبان الامامية وأخذوا سلاح جنوده وعتادهم وأعطوها الى فريق آخر من اخوانهم الذين كانوا طلبوا اليهم الالتحاق بهم . فبقيت الحالة هكذا دواليك كلما غم الامير وجاعته بندقية أعطوها الى واحد من الاشخاص الذين لما طرق مسامعهم خبر الثورة جاؤا زرافات ووحدا للانضمام الى الثائرين وشدارزم . واسبانيا تدمم حينئذ « مصابة لصوم وقطاع طريق » فلا تكثرت بهم ، ولا انتهت بأمرهم . وانما ترسل مطاردتهم للكتيبة اثرالكتيبة بدون أن تتمكن من قطع دابر هؤلاء العصوص ، قطاع الطرق ! فلما بلغ عدد رجال الامير خمسمائة نسمة واشتد ساعده وهاجت الخواطر في البلدان شعرت القيادة الاسبانية بالخطر المحدق وجردت الحملات ، وارسلت الجيوش . . . ولكن لا الى ميدان النصر والظفر ، بل الى الجزيرة ، الى الموت . .

﴿ وشاورهم الى الأمر ﴾

ولما قويت شوكة الامير وانتشر نبأ قيامه في البلاد فقباله الشعب بما يستحقه من العناية

والاهتمام رأى أن أحسن وسيلة لنجاح القضية هو إيجاد أساس متين لبنائها وذلك بجعلها حركة قومية عامة يشترك فيها الشعب في ادارة دفة الحركة والحكم فعدا القبائل والاهلين الى عقد اجتماع عام في معسكره . فلبى السواد الاعظم دعوته عن طيبة خاطر ، وتقاطروا على معسكره زرافات ووحدانا . وهناك وقف الامير خطيباً بينهم ، فاسهل خطابه ببذرة تاريخية عن علاقات اسبانيا بالعرب في الاندلس والمغرب . وأبان لم الاحمال الحمسية التي يقوم بها المستعمرون في البلاد الشرقية وغايتهم من بسط قوذم على البلاد . ثم تدرج الى ذكر الاسباب التي حملته على القيام في وجه الظالمين ، وبسط بايضاح المثل الاعلى الذي يصبو اليه . وطلب اليهم الاتحاد والتضامن وشد ازره في قيامه للوصول الى الفوز والفلاح . ثم افترح أن يتذاكروا في الامر ويبينوا له آراءهم وأفكارهم بكل جلاء ووضوح فاتفق الجميع على الجهاد والدفاع الى آخر نقطة من دمائهم ورأوا أن أضمن طريق للفلاح هو تفكيك مجلس تام يكون المرجع الأعلى ، بحيث يضع برنامجاً لسير عليه . وبؤلف حكومة وطنية تدير شؤون البلاد . وتضع الانظمة والقوانين .

الجمعية الوطنية

تشكلت الجمعية الوطنية أو المجلس العام على الطريقة المتبعة في المغرب الأقصى من جماعات القبائل والاهلين . وهم الاعيان والمشايخ والولاة . فكانت هذه الجمعية هي الممثلة لارادة الامة وهي التي تولت تنظيم الجهاد الوطني وادارة شؤون البلاد .

عقدت الجمعية الوطنية الريفية اجتماعها الاول في بدء سنة ١٣٤٠ فكان قرارها الاول اعلان استقلال البلاد وتفكيك حكومة دستورية جمهورية يرأسها الامير محمد بن عبد الكريم زعيم الثورة قم ذلك في يوم ١٥ المحرم ١٣٤٠ (١٩ سبتمبر ١٩٢١)

ثم وضعت دستوراً لبلاد مبدؤه سلطة الشعب ، وجعل السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية في يد الجمعية الوطنية أي أنه لم يفصل بين السلطين طبعاً للقواعد الدستورية الاوربية ، وجعل رئيس الجمهورية رئيساً لجمعية الوطنية . ويحتم على كل شيخ وزعيم وقائد^(١) من أعضاء المجلس تنفيذ المقررات التي تقرها الجمعية ، وهؤلاء مسؤولون عنها تجاه الرئيس بصفته رئيس الحكومة ،

(١) الحاكم أو الوالي في بلاد مراكش يسمى (قائد) .

والرئيس مسؤول عنها ازاء الجمعية؛ وقد اختارت الجمعية هذه القاعدة في دستورها وفاقا لتقاليد البلاد وعاداتها .

أما الوزارة فقد نص الدستور على تفكيك أربعة مناصب منها لحسب وهي مستشار رئيس الجمهورية - وهو يقوم مقام رئيس الوزارة - ووزير الخارجية ، ووزير المالية ، ووزير التجارة وبقية الاعمال كالدخلية والحرية فقد جعلها الدستور من خصائص رئيس الجمهورية .

— الميثاق للقوى —

ثم شرعت الجمعية الوطنية في وضع ميثاق قومي يكون المثل الاعلى للشعب في جهاده ونضاله فأقرت بعد جلسات متتالية الميثاق القوي الآتي :

١ - عدم الاعتراف بكل معاهدة لها اساس بحقوق البلاد المغربية وبخاصة معاهدة ١٩١٢

٢ - جلاء الاسبان عن المنطقة الريفية التي لم تكن في حوزتهم قبل ابرام المعاهدة الاسبانية

الفرنسية سنة ١٩١٢ ، فلا يبقى لاسبانيا سوى -بنة ومليلة وما يجاورهما من الاراضي

٣ - الاعتراف بالاستقلال التام للدولة الريفية الجمهورية .

٤ - تشكيل حكومة جمهورية دستورية .

٥ - أن تدفع اسبانيا تمويضا اريشين عن الحسرة التي لحقت بهم من جراء الاحتلال في

السنوات الاثني عشرة الماضية ، وفدية للاسرى الذين وقعوا في يدهم .

٦ - انشاء دلائق ودية بين كافة الدول بدون ما تميز ودقد محالقات تجارية معها .

— العلم الريفي —

واختارت الجمعية علما لدولتها الجمهورية الريفية أرضه حراء وفي وسطه نجمة خضراء سداسية

ضمن هلال في رقعة بيضاء

وهذه الالوان الثلاثة رمز تاريخي لا علم عربي قديمة : فاللون الاحمر كان شعارا للحجاز

قبل الاسلام وما زال راية الاسرة الشريفة فيها التي منها سلاطين المغرب اليوم ، وفي كتاب

تاريخ الدول العربية أن الحميريين اتخذوا هذا الشعار وان امره القيس بن حجر لما بلغ القسطنطينية

كان يحمل اللواء الاحمر .

والقون الأخضر هو شعار أهل البيت النبوي الكريم والفاطميين ، أما القون الأبيض فهو شعار الامويين في الشام والاندلس .

﴿عاصمة الجمهورية الريفية﴾

نص الدستور الريني على جعل (أجدر) عاصمة للجمهورية الريفية ومسكراً لجيشها ، وهذه البلدة رغمًا عن كونها عاصمة لا يزيد طولها عن ميلين ، وعرضها عن ميل باديء بدء ، قد اتسعت حتى صارت بلدة كبيرة ، وهي تقع في بقعة جبلية تفرع على وادي (الحصان) ، وقد تستطيع المدافع الاسبانية في الحسيمة أن تنالها بقذائفها

في هذه البلدة يقيم بطل الريف في منزل لا يمتاز عن منازل البلد بشيء اللهم الا بكثرة الداخلين اليه والخارجين منه من الرسل وأصحاب المصالح ، ومن هذا المنزل تصدر الاوامر بمحشد الجيوش وتنظيم الاممال .

اما غرفة استقبال الامير التي خرجت منها شملة أضاءت ارض الوطن وألهمت قلوب بنيه والتي هي محط انظار الامة وهيكل تاريخها ، وهي غرفة عملة أيضاً - فانها لا تزيد مساحتها عن عشرين



﴿الامير محمد بن عبد الكريم في مركز القيادة العامة﴾

قديماً مربعاً ولا يذارتقاع جدرانها من ستة أقدام، وقد نفرت على جدرانها خريطتان اسبائتان لبلاد الريف . أما أرض التفرقة فمروشة ببساط وفيها كرامى ومنضدة من الخشب عليها رسائل ونجارير وجرائد ومجلات عربية وفرنجية ، ويجلس مولاي ابن عبد الكريم خلف هذه المنضدة ولا يشاركه في أعماله سوى أخيه الأمير محمد الصغير بن عبد الكريم^(١)

هو أقوال الأجانب والصحف في الأمير

قالت جريدة (الدبلي اكسپريس) الانكليزية في مقال افتتاحي :

ان الأمير ابن عبد الكريم بعد من بين كثيرين من مشاهير رجال العالم الذين لا تعرف سيرهم الا في الروايات . فهو شديد الحذر والاتباه لا ييوح بخطته الا عند تنفيذها . وقد هباً جيشاً على أحدث نظام فدرب رجاله ومرتهم على أساليب القتال .

وقال المستر ورد بريس مراسل (الدبلي ميل) الانكليزية وقد زار الأمير في معسكره :
ابن عبد الكريم في القند الخالص من عمره ، وسيم الوجه رغمًا عن غضونه ، براق العينين ، له نظرات النسر مليح كإغلبية بني جلسه ، اجس الصوت جبل اليدن ، مهيب الطلعة ، ودع الحيا دائم الابتسام . قد يشعر المتحاث اليه بطلًا نينه وعطف . ومن رأي أنه يرى مما يرميه به اعداؤه الاسبان من الوحشية والقسوة في معاملة الاسرى منهم وسفك دماهم . حادثته طويلة فوجدت منه رجلاً ذكياً هادئاً ، حذراً غامضاً .

وقال الكايتن (هاوكس) :

ان للأمير ابن عبد الكريم قوذاً بين مسلمي أفريقية الشمالية لم يسبق له مثيل منذ عهد الأمير عبد القادر وهو كما مطابق على ألوف من الناس بحض أراذتهم واختيارهم . مع أنهم لم يخضعوا قط لقيامه بوضي لراحة رجل واحد ، فأوامره تطاع وضرابه تؤدى من دون أدنى تذمر .

(١) ان المادة في لاد الرب ان الولد الاول والثاني يسمى كل منهما محمداً ويميز الاول بالكبير والثاني بالصغير ، فيدل محمد الكبير ومحمد الصغير ، فيدل لريف هو الاول وقد يسمى محمد الكبير ، وعقبته هذا هو الثاني فيسمى الصغير والأمير محمد الصغير هو شاب لم يجاوز الثلاثين عليه سباه للبل والهاية وأمارات الذكاء والحزم وهو عالم قاضل مفسى علومه في اسبانيا ودخل المدرسة الحربية للأك في مدرسته بزع في الهندسة العسكرية ووضع الخطة الحربية وحقق في فن الطبوغرافيا (أى الساحة) وعلم اللادن وزلو كثيرا من لدان اروبا . وقد تولى أخيرا قيادة الجيش في المنطقة لمرية (أى بجاله)

وقال مراسل (المودنين پوست) في مراسل :

اذا نظر الانسان الى الامير لاول وهلة لابد ان يحار في ان يكون لهذا الرجل الاطيف المنظر ذلك التأثير العظيم على قبائل الريف الشكسة . ولكن عندما يعرفه يوقن انه ذو شخصية عظيمة فهو أحد أولئك الذين يولدون زملاء في ازمة غنطة بين الامم ليكونوا مصيرها ويتركوا أثرهم في تاريخ العالم . وهو ليس زعما فقط بل مصلح أيضا حتى ان تأثير حكمه قد بلغ الى مدى يفوق حد التصديق في تبديل الاحوال في الريف .

وقال الكاتب (يغان) :

ان الريفين الذين يقدم الامير ابن عبد الكريم لا يمكن ان يغلبوا وقد احتفروا خنادق عظيمة وانفأوا استحكامات منيعة .

وقال مراسل (التامس) في طنجة :

ان الامير ابن عبد الكريم قائد مقتدر وهو يأمل ان يصل بطريقة مقبولة الى أمنيته ويصبح سلطانا . وقد جلت الحركات العسكرية الاخيرة اسراراً ظهرت منها حكمة الريفين الفاتحة في اختيار مواعيد القتال والمراكز الحربية .

وقال الموسيو (اميل بوردي) الكاتب الفرنسي :

ان مركز اسبانيا في المغرب الاقصى صار متحرجا ، وعبد الكريم يعرف ذلك ويرى نفسه قد فاز بالمر . وعبد الكريم هذا رجل عجيب القصة ، فقد حصل العلم في (شلمنكا) وله رفاق وأتباع في تلك الجامعة وتراه يطمع في ان يكون (الزعيم المصري) للاسلام . زاره أحد الاخباريين الامريكين مؤخراً فوضح له أنه يستخدم التلغراف وأداة الكتابة المعروفة والسيارة الكهربائية كما يستخدمها المسيو دومرج رئيس الجمهورية الامريكية نفسه .

ومكانة عبد الكريم اليوم سامية حتى في مستعمراتنا الجزائرية وهو نظير حميد البولشفيين يبعث دعاة الى جميع الاقطار التي يقصد تحريك اهليها .

وقال المسيو (جان مارصيلياك) :

كان يقال فيما مضى انه في الحروب لا يقيم القنيل الا بعد رميه بثقله ، وأما مع عبد الكريم ورجاله المغاربة فقد رثل الاصبع يكفي لقتل واحد

وقال (المارشال ليوتي) مندوب فرانسا السامي في مراکش :

أرى ان خطر الحالة الحالية الحاضرة في الريف يتجاوز افريقية الشمالية ، فأن العالم الاسلامي يرقب الحرب بين ابن عبد الكريم واسبانيا باهتمام عظيم والمعروف أيضا أن افريقية الشمالية كلها تنظر بعين الاهتمام والناية الى ثورة الامير ابن عبد الكريم وان الدين يشيرون الفتى يتوسلون بتقهقر الاسبان المتواصل مع ما عندهم من الجيوش والمدافع ومعدات القتال الحديث امام الوطنيين الذين لاسلح لهم سوى البنادقات وتنايل اليد ، لحل القبائل على اقتفاء أثرهم .

وقال المريكز (دي سيجوزاك) :

ولادرب ان ابن عبد الكريم يحطرا الاثنى وابلا من الاحتجاجات العملية فقد سوى المسألة الاسبانية ، ولكن من يشك في انه سيرتد علينا ؟ ان العالم الاسلامي بأسره يستحلفه ويحثه على ذلك ، وتعتبره الهند ومصر وتونس وغيرها محرر افريقية الشمالية وقاهر الاستعمار .

وقال المستر (كنورثي) عضو مجلس النواب البريطاني :

ان ابن عبد الكريم رجل حرب وجلاد وزعيم يعرف كيف يجمل الجماهير تنقاد اليه حتى صار الناس في الهند وبنداد والقاهرة برون فيه رجلا يصح ان يكون أميرا للمؤمنين وحاملا لسيف الاسلام . فإذا أصبح والحالة هذه في مركز يدعو فيه الى الجهاد في افريقية الشمالية وبلاد العرب والآنضول فأن انكثرا وفرنسا وإيطاليا يترضن لاختطار عتايحة . ولا يبعد ان تمس هذه الاخطار روسيا أيضا .

وقالت جريدة (دويتشه الجينه تسميتونف) الالمانية :

الامير ابن عبد الكريم زعيم القبائل المهادنة للاسبانيا هو رجل قدير ، ذائع الصيت ، وزعيم متملم ، وقائد ماهر ، ومنظم حاذق ، وسياسي حكيم يعرف كيف يستعمل المناصات لصالح أمته ، وهو يحكم منطقة ندر ان ذافت علم الحكم الاجنبي أو استهدفت حتى للرومان القدمان الذين اخضعوا الالب وآكام الالبان ولم يفتحوها .

وقالت جريدة (الطان) الفرنسية :

« ان منطقنا في مراکش تستهدف لخطر عظيم اليوم ، ونلقى به ابن عبد الكريم الذي اخذ نفوذه يزد زيادة مطردة بعد انكسار الجنرال سلفستر الاسباني في سنة ١٩٢١ فقد عرف هذا كيف ينتقم بماخلقته الجيوش الاسبانية يوهتد وراها من الاسلحة والخيرة ليقنع انصاره

انه صار في استطاعته الآن أن يقاوم أي دولة أوروبية مادامت الممدات الحربية الحديثة متوفرة عنده . وقد كنت في الحريف الماضي في شيفوان وذلك قبل جلاء الاسبان منها فأدهشني تأثير ابن عبد الكريم في نفوس الريفيين فأنهم كانوا يقولون لي ان مساعدتي الامير لا يكتبون مثلنا وهم يترجمون على الارض ولا يحملون ورقهم بيد وقلهم بيد أخرى بل يجلسون الى منضدة مثلكم ويستعملون الآلة الكاتبة مثلكم . وهو عند ما يخبر أنصاره لا يرسل اليهم رسلا كما جرت العادة بل يخاطبهم بالتليفون واذا أراد أن يزورهم فلا يحتل جواداً بل يذهب اليهم بسيارته مثلكم ، ثم يردفون ما تقدم بقولهم : وهو يملك ما يملكه الفرنسيون ويعمل ما يعمله الفرنسيون .

في الادارة والاصلاحات

بذل الامير ابن عبد الكريم جهوداً عظيمة في سبيل اتقاذ البلاد من الحالة المحزنة التي كانت فيها . فقد كانت الفوضى ضاربة اطنابها والفنن والثورات منتشرة في طول البلاد وعرضها والفتك شديداً ، والازمة الاقتصادية آخذة بخناق الشعب ، فقاوم الامير هذه الاخطار وذلك الصعاب وضرب على أيدي العابثين بالامن ولاقى جميع هذه الامور بحكمة ودربة . خلعت الظلمة عن الحرف ، وذهب العدل والقانون بالظلم والاستبداد ، حتى صار الاجنبي فضلاً عن الوطني يستطيع ان يجوب تلك الانحاء آمناً لا يخشى شراً من أحد اذا كان يحمل جوازاً (باسپور) من الامير ، وحتى صار الريفي نفسه يحار من هذا الامر ، فهو اليوم يتكلم عن الحكومة في بلاده مباهياً بها وعن السلامة المدهشة التي يتمتع بها في حله وترحاله .

وما كانت الاعمال الحربية لتنتهي الى الامير أمر الاصلاحات التي تحتاج اليها البلاد أشد الحاجة ، وما كان توطيد الامن ليشغله مما يحقق لهعب المستقبل الجيد فقام باصلاحات عظيمة في كل فروع الحياة فنظم مالية البلاد وأصلح الادارة ونظم التجارة والزراعة وأسس المدارس وأرسل البعثات العلمية الى أوروبا ، وعنى باصلاح حالة الريف الصحية فأنشأ المستشفيات والمتوصفات وجلب الآلات الفنية وعمل على تمبيد الطرق ودبطها بمغصها ببعض الى غير ذلك من الاصلاحات التي ستكون نواة نهضة قومية ثابتة في المستقبل^(١)

(١) وقد اصدر الامير في الآونة الاخيرة كما ذكرت حريدة (الجورنال) قانوناً يقضى بإجبار العرب من رجاله على ان يتزوج الواحد منهم من امرأة او اكثر من اراول اخواتهم الذين لقوا حتفهم في الدفاع عن بلادهم ، كما انه

﴿ الأعمال السياسية ﴾

ليس الأمير ابن عبد الكريم ذلك الصانع القاطع الطريق المتوجس كما يجيل للإنسان عند ما يقرأ أنباء القضاة التي يرونها عنه خصومه بل هو رجل متفرد في القاء التهذيب ومعرفة العالم وهو حلو الشائل يستطعم أن يجادل في أي موضوع تهتج باب البحث فيه ، ويهتم اهتماماً كبيراً بالشؤون السياسية الأوروبية ويعرفها معرفة خارقة ، وتجد على منصفته آخر ما صدر من الجرائد الأوروبية لاسيما الإسبانية والفرنسية منها ، وقد أصدر في بدء تأسيس الحكومة منعوراً ينذر فيه بالقتل كل من يستدعي على أوروبي لجرد كونه أوروبياً ، أو يقتل أسيراً إسبانياً وفقاً لحقوق الدولية

ولم ينس الأمير التقاليد السياسية المرمية بين الدول فأعلن على أثر تشكيل الدولة الرفيعة ، تأسيسها بمنشورات رسمية بلغها إلى دول الغرب وجمعية الأمم ، واحتج فيها على سلوك إسبانيا في الريف واعتدائها غير القانوني .

﴿ وفود الريف ﴾

ثم انتدب الأمير شقيقه الأمير محمد الصغير ليزور مقر عصبة الأمم والبلاد الشرقية ويطلع رجالها على أحوال بلاده فزار فرنسا وألمانيا وسويسرا وإسبانيا وقام بمهمته خير قيام ، ولكن عصبة الأمم صحت آذانها عن سماع دعواه فعاد بدون طائل .

وقضى على ذلك بوفد آخر قوامه السيد عبد الكريم بن الحاج علي والسيد محمد محساوي صهر الأمير فصارا سنة ١٣٤١ - ١٩٢٢ إلى لندن وطلبا وساطة إنكلترا بينهم وبين الأسبان حقناً للدماء ، ولكن لورد كرزون وزير خارجية إنكلترا - المعروف بنزعة الاستعمارية وبمواقفه البغضية للشرق والشرقيين - لم يسمح بمقابلة هذا الوفد ، وورده إلى بلاده مزوداً بالغبية والقشل ، بعد أن أقام خمسة شهور بإنكلترا .

وقد أذاع الوفد المناشير والتي الخطابات في الاندية والمحافل وبيث الدعاية في كل مكان ، ولكن لم يلق أצל نجاح ، لأنه شرقي !

حمل لثرو من الـ سيرة زوا واحدة إلى زعيمهم . وهذا العمل للمري من أجل الأعمال التي تعود على الشعب الربي في زوا .

وصرح الوفد أثناء اقامته لحرد بحجة (قبة المسلم) بمايلي :

اننا قما ولة الحمد بأعمال حسنة متبعين في حربنا مع أعدائنا الاسبان تعاليم القرآن الكريم وأعمال الخليفة الثاني صربن الخطاب . اتنا على ثقة من انتصارنا النهائي الذي يتوقف عليه استقلالنا وحياتنا .

ان اسبانيا بعد أن فشلت بحربها معنا صمدت الى الحصار البحري وأخذت ترمى قنابلها مستعملة حرب الجبن والدناءة . فلا يقع في يدها أسير منا الا وتمثل به أقطع تمثيل ^(١) بينما نحن لانامل اسراها الا بالحسنى على أن أعمالها الحمجية اضرتنا بأن نهدد بعد اننا جزيرتي (الحسيمة وبنون) الواقعتين أمام شواطئنا وبذلك قضينا على أعمال الاسبانيين البحرية وأجبرناهم على الابتعاد عن السواحل .

نحن اليوم نتألم من الحرب على أن هذا الألم نستعذبه في سبيل سلامة واستقلال بلادنا . ولقد وقدنا الى اوروبا وجودنا اسباع صوتنا وشرح قضيتنا الى العالم المتتمدن .

وانا لنقول أن تعطف أوروبا على قضيتنا العادلة وتردها فظائع الحروب التي تأبأها وما زالت بلادنا حائرة على سعادتها وحفاظة على كرامتها . وانا لنستصرخ العالم الغربي وزجو أن لاتنسيه لياما حوادثه الاخيرة ، فان حوادثنا لاتقل خطورة عن تلك ، خصوصا وان الريف قاعدة شرقية ذات قوة وثبات لايسهان بهما .

وأفضى الوفد أيضا بمحدث لمراسل بحجة (صدي الاسلام) الباريزية هذا تعرييه :

« اذا كنا نحارب اسبانيا فهو كما يعلم ذلك كل أحد لاجل دفعها عن ديارنا التي هي طامعة اليها منذ القديم . فاذا كانت اسبانيا ترجو ان قاتنا بطول الوقت فانها تخطيء في ظننا ، لان الهيب الريفي لايعن بشيء في سبيل حقنا المقدس . ولقد استعصرنا الامم المتقدمة التي زحمت أنها خاضت غمار الحرب العامة لاجل الدفاع عن الحرية والحق والعدل ، فأصمت هذه آذانها عن صياح كلامنا .

« أما من الوجهة الحرية فنحن على تمام الالهة وملثفون عصبة واحدة حول زعيمنا العزيز ولدنيا بنادق وقسايل ومدافع حديثة الطرز وكية لاتقنى من العدة . وجيشنا تحت قيادة ضباط شبان متملدين أذكيا كلهم يتلقون الاوامر من ابن عبد الكريم الذي يباشر كل شيء بنفسه

(١) كأن أعمال ديوار التفيتش في القرون الوسطى لم تكن كالية

« فن الوجبة العامة حالتنا وله الحمد مرضية جداً ، وسنة ١٣٤٠ كانت علينا سنة خيرات وبركات اذا كنا كنا نشترى أي صنف من المأكولات أرخص بخمس مرات مما هو في بلاد الجزائر . وكذلك الامن العام تام . ففى طول السنة وقع عندنا حادثة قتل وحادثة سرقه لاغير ، وان القرصة جرت عبرها ، لانه قبض على القاتل وحوكم وقتل وعلى السارق قطعت يده اليسرى . وبالجملة فلنا اليقين التام بكون النصر النهائي سيكون لنا بحول الله وقوته . »

﴿ الريفيون والسلمون ﴾

واذاع الوفد المذكور وهو بلندن خطاباً وجهه الامير الى العالم الاسلامي هذا نصه :
« في العام الفارط عقب انتصارنا على جنود الاسبان رفمنا شكوانا اليكم في جل وجبة وعبارات قصيرة من تعدى هاته الامة وتعامل رجالها المسكرين على وطننا . واليوم نعود الى الكتابة ثانياً مرة مسترخين بكم ومستجدين لمراجعتكم على أن يصادف انتصارنا اذننا صاغية ، وقلوب شفقة وحنان . »

يا اخواننا بناء على ماتلمونه من المعاهدات الدولية ونصوم مؤتمر الجزيرة الخضراء جاءت اسبانيا بدعوى اصلاح في العام التاسع من هذا القرن المسيحي وأشهرها على وطننا الحرب وجردت على الريف حملة عسكرية تتألف من تسعين ألف مقاتل كالة المدة والمدد واتخذت جميع الوسائل العنيفة والمواد المهلكة لافناء هاته الفئة القليلة من الريفيين وحاربهم بهذه الكيفية وبهاته الوسائل المدمرة مدة ثلاث عشرة سنة وقد أتى ضباط المسكر من هذه الامة الفاتحة خلال هاته المدة من ضروب التوحش وأنواع الهمجية مايتعاضى القلم عن ذكره وتجه أسباع الانسانية . خربوا الديار ، وغصبوا الاملاك ، واستحيوا النساء ، وقاقلوا الرجال ، واضطهدوا الدين وهتكوا الامراض ، وساموا الاهالي من صنوف المذاب ألوانا . وكلما حاول مظلوم منا أن يبلغ شكواه للمراجع الاسبانية العالية قوبل بالاستهزاء والـ خيرة . هكذا قطع الريف الحر الذي عاش حيننا من الدهر شريفاً مستقلاً في دينه وحقوقه ثلاث عشرة سنة وصراخه دائماً كالصياح في واد حتى ضجر ومل واستسهل الاستشهاد وقام على بكرة أبيه ليدافع عن حقوقه المهضومة وتحقق أن الهروب من الموت موت . وأن لانجاة الا في تجريد السلاح ومقاومة هؤلاء الظلمة حتى أحرز الريف ذلك الانتصار الذي رددت مدهاء جرائد المعورة قاطبة وانكسر الاسبان

ورد الى حدوده القديمة التي لا تبعد عن مليه أكثر من أربعة كيلومترات وترك في يدينا ما لا يجتئى عليكم من القذائر الحربية والاسلحة الكثيرة والاسرى الذين لا يزالون في قبضتنا وتحت حكمنا وأيدينا . وقد جرد بعد ذلك مائة وخمسين ألفاً من المقاتلين وضاعف الاستعدادات الحربية والمواد المتفرقة وعاد الى قتالنا ولكن هو الحق ابي الله تعالى الا أن يظهره على الباطل فلم يدهش الريف بل زاد قوة وبأساً . فاشتد ساعده ونشط ثأني مرة للقتال ووقف في وجه هذا الظالم فلم يستطع أن يجاوز الحدود التي وقفت فيها جيوشنا من ذلك التاريخ . هذه هي الحالة الى اليوم .

نعم تعلمون يا اخواننا ان الدين هو أقوى الروابط وأمن علائق المواخاة ، والاخ لا بد أن يرحم أخاه ويفتح من حله ويقاوزه في الشدائد ، خصوصاً في هذا العصر الزاهر الذي تأسست فيه الجمعيات الخيرية وانمقتت الشركات الدينية بل البشرية للمواصاة ومساعدة المنكوبين .

وقد جئنا على الاستمصارخ اليكم ما يصلنا اليوم عن نهضتكم الجديدة وانتماش العالم الاسلامي وقيامه للمطالبة بحقوقه ومجاراة الامم المتقدمة في تنازع البقاء والاحراز على مركز في المجتمع الدولي في أن تمضدوا دعوانا وترفعوا معنا الصوت الى ممالك اوربا التي كررنا اليها الشكوى أيضاً .

نريد أن نصرح لكم اننا نطالب باستقلالنا ، وحرية وطننا ، استقلالاً تترف به الدول التي تدبر دفة العالم .

وهؤلاء سفراءنا المفوضون المعربون عن الشكايات : عبد الكريم الحاج علي ومحمد بن محساوي . والسلام

محمد بن عبد الكريم الخطابي

﴿ ماذا التقاطع بينكم ﴾

واذاع الامير منشوراً على جمعيات الهلال الاحمر هذا نصه :

الى جمعيات الهلال الاحمر ،

اذا كان التمدن الحديث قد أحدث جمعيات خيرية ورأى من الواجب الانساني مؤساة الضعيف والاخذ بيده وتخفيف ويلات المصائب التي تتعاقب على هذا الانسان المسكين فها هو الدين الاسلامي الذي أتى لاجل سعادة البشر في هاته الدار وتلك الدار يصرح في غير ما آية من آيات الكتاب

الكريم بوجوب التمازج والتكاتف والتآزر بين المؤمنين . وبين أيضاً أن الجنسيات والقوميات لا أثر لها بعد الايمان والتوحيد فقال « اما المؤمنون اخوة » وقال « وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » أى لاجل أن يحصل التعارف بينكم ويميز بعضكم بعضاً بالامم والا فالاخوة حاصلة بالايمان الذى هو أقوى الروابط وأوثق المرى . وبناء على هذا فالتناشدكم أيها الاخوان باسم الدين وشواهد الملة السمحاء ونظمت أنظاركم الى هذا الشعب الريفي المسكين الذى تسلطت عليه أمة الاسبان فكابد الحرب مدة ثلاث عشرة سنة من غير مال ولاعدة ، لترحكم باسم الريفى أخيكم في الدين الذي يتألم لالم ثلثمائة وخمسين مليوناً من المحمدين ويسرلسرورهم أن تعتبره عضواً من أعضاء جسدكم ، وتمتعوا اكتئاباً لمساعدة جرحاء وتخفيف مصائب الحرب .

يسوءنا وأيم الحق أن ترى جمعية الصليب الاحمر من الامم النصرانية من غير تمييز جنسية ولا قومية تهتم بجرحى الاسبانيين وامرامهم الذين بقوا في أيدينا وتبعث لهم الكييات الوافرة من الدرام وترسل لهم الاطباء ليقوموا بمداواة جرحى الاسبانيين . وليس لنا من جريئاتنا الخيرية من يصلنا .

هذا ما أردنا انهاءه الى مسامحكم فسامكم أن تلغفتوا بقلوب ملؤها الشفقة والحنان والله يجزى ذوى الخير بالخير ويموض المؤمنين وأهل الاحسان درجات والسلام »

محمد بن عبد الكريم الخطابي

وقد أتاح الامير الكورة بطلب البجدة ودعوة الشرق لاني يقوم بعمل انساني واجب فيبعث بارسالية طيبة لمعالجة الجرحى من المغاربة الذين يكالغون من حريتهم واحتقلالهم ومحاربون دولة اوروية قوية بقلوب مليئة بالايمان ، وصدور تفيض شجاعة وبسالة . ولكن هذه الشهادات وذلك الاين الذى تردده العرب اليوم في المغرب الاقصى فنتشك رناته الحزينة البحار والبرارى لايجد الا اذاناً صماء لاتسمع نداء ولا تلقي دماء .

من تصريحات الامير »

أهـى الامير ابن عبد الكريم الى المستر (وردبريس) مراسل الديلى ميل الانكليزية عن النفاية ، يتوخاها من قيامه ، بحديث طويل تقتطف منه مايلى :
نعم ، نعم السلام ولكننا بأبى المذلة والضمير . وهانحن قد طاهدنا الله والدرف العربي

أن ندافع عن استقلالنا الذي يهدده الاجنبي الغاصب قراءاً بالاستعمار المقنن من جميع الشعوب الاية الحرة ، نحن لانحب الحرب ونحبذ السلام مع استقلالنا التام وعدم الخضوع لسيادة الاجنبي القهرية المهيمنة . وقد تفاوضت منذ عامين مع المدعو بواسطة أحد قواده المدعو (جيربو) بمليلة وأفهمته أنني مستعد لمنح دولة اسبانيا امتيازات اقتصادية كثيرة امود هايا بالخبر والمنفعة اذا اعترفت باستقلال بلادها واملتها معاملة الصديق لصديقه لا معاملة السيد لخدمه وعبيده ولكنها رفضت ومع كل هذا فاني لم أزل مستعداً للمفاوضة حباً في السلام على شرط اجابة مطالبنا الماداة، أما اذا أراد عدونا حرباً فلتكن حرباً أبدية بيننا ولتهدر دماء الارباء على مذبح استعمارهم الوحشي البعيد عن الانسانية وفي سبيل مطلبنا المشروع . ولا يخفى على دول اوربا أن تحقيق استقلالنا له ميزة كبيرة ستعود عليهم جميعاً بالمناغم الجزيلة فبلادنا الفنية بمناجم النحاس والقصم والحديد ستفتح أبوابها للمعاونة الشركات الاجنبية التي نحن في أشد الحاجة لرعوس أموالها وبذا يمكننا أن نعيد ونستفيد بكنوزنا الطبيعية .

وأذاع الامير في شهر أغسطس سنة ١٩٢٣ منشوراً قال فيه :

ان الريفيين قادرون على حكم بلادهم ومستعدون أن يبرهنوا كما برهن الترك على أنهم يستطيعون بلوغ حرامهم بقوة ساعدتهم . ان جمهورية الريف التي أعلنت سنة ١٩٢٠ ليست معادية للاسبانيين اذا كانوا يعترفون باستقلال الريفيين

في سبيل السلام

بذل الامير كثيراً من الجهود السياسية كما يبذل من الجهود الحربية لارجاع السيف الى غمده وحقق الدماء وايقات الطامعين المستعمرين عند حدهم ، والاضراف باستقلال بلاده فارسل في شهر رمضان ١٣٤٢ - ابريل سنة ١٩٢٣ مع المستر ورد برس مكاتب جريدة الديلي ميل كتاباً الى المستر مكدونلد رئيس الوزارة البريطانية هذا نصه :

« تبذل حكومة الريف كل قيس في هذا الصراع الدموي المؤلم، وتجاهد في سبيل استقلال بلادها الذي يهدده الاسبان الظلمة المعتدون على حقوق الانصاف الى آخر رجل . . اني أكتب لك مامم الانسانية المذبذبة لتتوسط بيني وبين المدعو المعتدي حتى تنتهي هذه الحرب المريعة التي تقتك بنفوس بريئة وما أنا امرح لك بصفتي أمير الريف المعترف به انني مستعد أن أرسل

من قبل مندوبين في المكافاة والذين الذي تحدوده للمفاوضة في شروط الصلح ، على أساس استقلال اماره الريف استقلالا تاماً وحفظ كرامتها كاملة حرة والا فالصالح خير حكم بيني وبينهم والنصر بيد الله يؤتيه من يشاء .

وقد اهتم مستر مكندولف بهذا الامر يدي به بعض الاهتمام ، ولكنه أخيراً لأسباب لا تلم .

ولما رأى الأمير ان كتابه هذا لم يسفر عن نتيجة ارسل اليه الكتاب الثاني :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الى حضرة الوزير المكرم السير رامزي مكندولف رئيس الوزارة الانكليزية ،
بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛

نعرض اننا قد أتينا بكتابتنا هذا لكي نسألكم باسم الانسانية ان تغابروا الدولة الاسبانية لكي تسحب جنودها من بلادنا الريفية فاذا فعلت هذا يكون لكم الاجر والثواب بحق دماء العباد ، واذا أبت فإن السيف بيدنا والنصر بيد الله يؤتيه من يشاء والسلام :

محمد عبد الكريم الخطابي

ولكن رئيس الوزارة البريطانية اعمل الكتائين ولم يأبه بهما مما جعل القنوط يتسرب الى ابن عبد الكريم من توسط اية دولة في انتهاء الحرب والمودة الى السلم. فقول حينذاك على غخطبة جمعية الام طمعاً بمناصرتها في تأييد استقلاله . وقد حاول أن يصل الى هذا الغرض بواسطة الحكومة البريطانية أيضاً ، فغاطب الوكالة البريطانية في طنجة غير مرة طالباً ان يؤذن له ببسط قضيتة لجمعية الام ، فامتنعت الوكالة البريطانية عن التدخل خوفاً من مس شعور صديقتها اسبانيا وهكذا ذهبت مساعي ابن عبد الكريم السياسية أدراج الرياح .



الفصل الثالث

حرب الريف ونتائجها

﴿ الجيش الريفي ﴾

لقد قلنا في الفصل السابق ان الامير ابن عبد الكريم هو غائبة المغرب في هذا المعصر وبطله العظيم وأثبتنا بالوقائع والحوادث مقدرته الادارية وحسنه السياسية التي رفعت الى هذا المقام . واليوم نريد أن نبين عنه بصفته قائداً باسلاً ، ومنظماً حريياً ، بحيث يتجلى تقاريه في هذا الموقف بطولته باجلى مظاهرها ويستبان نبوغه الفائق وبراعته المخارقة في تكوين الشعب الريفي واشغال قلوب مواطنيه بلهيب الوطنية والفيرة والطموح الى الاستقلال وللتطلع الى الحرية ، فقد اوجد كل شيء من لا شيء ، وكوّن من ضعف قومه قوة ، وخلق جيشاً حريياً منظماً سحق به قوى عدوه سحقاً يذكره تاريخ البطولة العربية مقروناً بالاعجاب والاكبار .

كانت معاهدة ١٩٠٤ ومآثلها من اتفاقات شؤماً على بلاد المغرب ، فقد قضت على حريتها واستقلالها وسلبت المغاربة حق الحياة ، وماذا عجباً حتى هاجت الافكار في المغرب ، وثارت الغواطر ، وقامت المصائب والفتن من ذاك الحين كما ذكرنا فيما تقدم ، فكانت حروباً غير منتجة لانها ليست منظمة ولا موحدة ، وكان المغاربة ينتظرون الوقت المرهون الذي يظهر فيه الزعيم البطل ليوحد كلمتهم ، ويجمع شتاتهم وينقذهم من هذه المصيبة العظمى . فأرسل الله اليهم ابن عبد الكريم الخطابي ، فكان بطل الريف وناقضها المفدى .

يقول مونتسكيو : ان معين الذهب والقضة ينضب ، اما الفضيلة والثبات والقوة فقلما ينضب معينها .

قام الامير لذهب من حياض وطنه وتخليص بلاده من براثن الاستعمار وهو عالم بان أعداءه يتسلحون بالاصفر الرنان وبأن بني قومه لا يملكون من هذه العملة شيئاً ، ولكنهم يتسلحون بالفضيلة والثبات وقوة الايمان ، فكانت له هذه الخصال التي لا تنضب خير مشجع للقيام بدوره العظيم الذي حباه الله به ، فقام هو وحفنة من اصداقائه يعمل على عميد الصباح وبذليل المقبات

فلس لامره قياد المصائب الجوحة والقبائل النائرة ، واقاد الشعب الريفي برمته لارادته ، فنظم منه جيشاً لجبا منتظماً تمكن من قهر دولة اوروبية كبيرة في اساطيلها وطياراتها ، عظيمة في ذهبها ودنانيرها ، ولكن هذه المنظمة وتلك الكبرياء اضمحلتا أمام قوة الفضيلة والثبات والوطنية الصادقة .

هنا وفي هذا المقام تتجلى بطولة الامير ابن عبد الكريم ونبوغه النادر . اذ كيف يتأتى لرجل ان يجمع شتات شعب لم يخضع يوماً لاحد ، ويوجد كلمته ويحوّله الى جيش منظم يسير وراءه الى مواطن القتال والكفاح مالم يكن بطلاً ثابتة .

اليس البطولة والنبوغ هي قوة سحرية تلعب بالالبياب وتعمل في النفوس فتأتي بالحواري والاحايجيب ؟ ويقوم اصحابها باعمال فذة في حوادث التاريخ قلما يرى لها مثيل بصعوباتها ومشاكلها التي لاتعد ولا تحصى ؟

﴿التجنيد العام﴾

اهتمت الجمعية الوطنية اهتماماً عظيماً في مسألة الجيش ، فخطتها في مقدمة القضايا التي يجب معالجتها ووضعها في صيغة تمكن الشعب الريفي من الوقوف امام دولة اوروبية قوية ، فأقرت التجنيد العام بحيث اصبح كل رجل في الريف مكلفاً بالذخاير عن بلاده بدون اجرة ، وخولت الامير ابن عبد الكريم السلطة التامة في اختيار الطريقة الملائمة ، وسلحته زمام القيادة العليا للجيش ، وتركته الحرية التامة في أمور الحركات الحربية وغيرها من المسائل .

وكان أول عمل قام به الامير هو وضع نظامات لجمل السلاح تنصر على ان القواد أو رؤساء القبائل مسؤولون مباشرة للقيادة عن صفار الرؤساء ، وعلى صفار الرؤساء ان يعدوا أفراد الجند ويعملهم على قدم الاهبة والاستعداد ، وبهذه الوساطة صارت جميع القوة من الرجال على اتم استعداد في كل وقت للذهاب الى ساحة الحرب متناوبة مع سواها ، والامير يمين دور كل منها وفقاً لما تقتضيه حالة القتال على انه جرت العادة - حسب نظام التجنيد - ان تخدم كل قوة اسبوعين في ساحة الحرب ، ثم يعود رجالها الى اشرافهم والرعاية ويحل محلهم سواهم ، وعليه فكل ريفي جندي مستجمع شرائط القتال مستعد دائماً للحرب والاحتفاد عند كل طلب وله بندقيته الخاصة به وقد يجاب معها ذخيرتها أيضاً ولا يتناول من القيادة سوى رغيف من الخبز .

ثم ان الصبية والشيوخ يساعدون المقاتلين في القيام بوظائف الحرس في الداخل والحدود ، وكثيرا ما ظهرت النساء المغريات في صفوف الجيش يشتركن في القتال ويقعن الرجال على الحرب وفاقا لتقاليد العرب منذ القدم .

ويقود الجنود ضباط وقيود درس أكثرهم في المدارس العسكرية الاسبانية والآخرين تدربوا بواسطة هؤلاء .

وللأمير تابور خاص جعله حرسه الخصوصي وبوليسه ، وهذا التابور يحتوى على رجال متخبين لهذه الغاية يلبسون حمالة زرقاء يتميزهم عن سواهم .

وعلى أثر تفكيك الجيش أصدر الأمير منشورا يهد فيه كل من يعصي أمره ويقر من الجندية مجرماته من حقوق رهوته ومصادرة أملاكه ، وطلب الى جميع الريفيين الساكنين في المناطق الاخرى العودة الى منازلهم ، فبرحوا ديارهم مليون دعوة الأمير لمقاتلة الاسبان اعداء وطنهم وأمتهم ، هذا عدا الفباثل والجماعات التي انضمت الى قوى الأمير فاصبح عدد الجيش مئة وثلاثين الف نسمة كامل العدة ولديه مدافع حديثة وطائرات واسلحة وذخائر ابتاع الريفيون بعضها وغنموا البعض الآخر من الاسبان

ولجمهورية الريف سفينة تجارية مسلحة يخفق عليها العلم المغربي ، قامت بدور مهم في الحرب الحاضرة فضربت بعض الجزر وحافظت على شقة الساحل التي هي مرفأ للحكومة الريفية

ولدى قيادة الجيش الريفي العليا مصلحة امتعلامات متقنة تعرف منها اسرار حركات الجيش الاسباني واستعداداته وتقف على الحالة الداخلية في اسبانيا وقوفاً تاماً

وقد ثبت ان ابن عبد الكريم قائد الجيش العام شديد الحذر والانتباه لا يبيح بخطته الا عند تنفيذها ، ووضم خطأ حربية هي كايقول مراسلو الصحف الاوروبية في طنجة قريبة القبة من المخطط الاوروبية وكثيراً ما يجاري الاسبان على خطتهم ويظل في اخذ ورد معهم يتقدم تارة ويتراجع أخرى لا اعتقاده ان طول الحرب في مصلحته وان الاسبانيين سيضطرون عاجلاً أو آجلاً ، رغبة في التخلص من النفقات ومن ارسال ابنائهم الى مجزرة الريف ، الى مصافاته والاعتراف باحتلال بلاده ، وقد اتت هذه المخططة بشمار طيبة لانها جعلت مشكلة مراكز في مقدمة المشاكل التي تشغل السياسة الاسبانية . وقد امتدح مراسل التاعس في طنجة هذه المخططة فقال عنها : « انها جلت اسراراً ظهرت منها حكمة الريفيين الفاتكة في اختيار مواعيد القتال والمراكز الحربية

والبلد بالعمل الحربي» .

على ان الامير كثيراً ما يختار أوائل شهر ربيع الاول لهجوم على الاسبان ومحاربهم في مفتتح كل عام ، وقد يكون لاختياره هذا الوقت قبر الاسباب الحربية ، اسباب تاريخية أخرى لها تأثيرها في نفوس أعدائه الاسبان وفي نفوس بني قومه المغاربة ، فقد كان الاسبان ومافتنوا يقيمون في هذا الشهر منذ سنة ٨٨٩٧ الاعياد والحفلات والمواكب في طول البلاد وعرضها ويحضر نساؤهم القبطير ^(١) وذلك لمناسبة ذكرى انتصارهم على العرب وطردهم من الاندلس ، والمغاربة احفاد مهاجري الاندلس ينصبون المسام والمناحات ويذرفون الدموع السخينة على ملك ضاع ومع ذهب . فالامير يقصد من اختيار هذا التاريخ تنفيس الاعداء على الاسبان وجعل فطيرهم زقوماً بالضربات التي ينزلها بجيوشهم ، وتبديل أتراح المغاربة الى افراح الانتقام ودموع الاسي الى دموع مرور .

تكذيب الامير

ذكرت الصحف الاوربية ان الامير ابن عبد الكريم يستمد المعونة في ثورته من بعض البيوتات المالية الاوربية وان في الجيش الريفي ضباطاً من الانكليز والامان وغيرهم ، وان هؤلاء الضباط هم الذين يدربون الريفيين ويقودونهم في الحروب والمعارك الى غير ذلك من الاقاويل التي اعتاد الاوروبيون نشرها ، والغاية التي يرمون اليها منها هي الحط من كرامة الفرق واستناد الطواقي التي يبدونها الى الغربيين . وعلى أثر ذلك ارسل الامير البلاغ التالي الى مكاتب التتبع في طنجة بتاريخ أكتوبر سنة ١٩٢٤ يدحض فيه هذه المزاعم . قال الامير :

نشرت بعض الجرائد الانكليزية والفرنسية ان هناك علاقات وثيقة بين حكومة الربف وبعض الشركات الاوربية وان شركة انكليزية اسندتها بثلاثة آلاف جنيه علاوة على معدات التلقون وجميع حاجياتها الحربية التي ارسلتها اليها من أوروبا . وما قالته هذه الجرائد ايضاً - فتجاوزت بقولها حد الاعتدال - ان في الجيش الريفي عدداً من الضباط الاجانب يتولون تدريبه

(١) روى الاستاذ احمد زكي باشا ان النساء في اسبانيا يحضرن بايديهن في يوم سين من السنة نوعاً من القبطير كان نساء العرب قد ابتدأن بهن ليوسنهن في ذلك اليوم المشؤوم يوم تسليم غرناطة (٢ ربيع الاول سنة ٨٩٧) واذا بالبرص قد دوى في الآفاق فاضطربون لمجر الاوطان وتركن ذلك القبطير على حاله في الافران بلجات الاسبانيات واكن خيزه وقده طعماً سائماً لزوجاين من رجال الاسبان

وقيادته . فصكومة الريف تكذب كل ما تقدم تكذيباً باتاً وتنتهز هذه الفرصة للنشر التصريح الرسمي التالي :

لم تمقد حكومة الريف حتى الآن أى اتفاق كان مع شركة اجنبية ، ولم تستمد مالا من الخارج ، اما معدات التلقون التي عندها فقد استولى جنودها عليها مع سائر القنائر الحربية التي غنمتها في اثناء احتلالها الباهر للمراكز الحربية الاسبانية ونحن نكتفي بمنع قتابل اليد بأنفسنا متكلين على اختبارنا المحلى .

ولا صفة لما أكدته الصحف الاوروبية من وجود ضباط اجانب يدربون جيشنا ويقودونه فضباطا كلهم من الريفين وهم يدربون جنودنا بمهارة بعد الاختبار الذي اكتسبوه في معارك شتى ، اما الاجانب الذين عندنا فليسوا سوى الامرى الاسبان الذين نحترمهم حكومة الريف وتعاملهم معاملة حسنة .

فنحن نرجو من الصحافة الاوروبية ان تكذب ياناتها العابقة وان حكومة الريف تقابل هذا التكذيب بملء الارتياح .

محمد بن عبد الكريم الخطابي

الحرب

اقتصرننا في بحثنا هذا على ذكر المعارك الكبيرة لحسب خوفا من الاطالة والملل

في سنة ١٩٢١

قام الامير ابن عبد الكريم في بدء ثورته بمحاربة الاسبان محاربات غير نظامية ، فالف المعصابات وبها في طول البلاد وعرضها ، فافت بأعمال جديرة بالذكر ولما اعلنت الحكومة الوطنية في الريف كان أول ما فكر في اتخاذ الوسائل اللازمة لمقاومة الجيش الاسباني ، أو على الأقل توقيفه في مراكزه ريثما يتم اعداد الجيش وتدريبه وتنسيقه ، فعمل على توسيع نطاق المعصابات ونمجزها بأحدث الآلات الفنية ، فقامت هذه بهمها خير قيام وكبدت العدو خسائر فادحة

وفي يوليو سنة ١٩٢١ - بدأت الحرب المنظمة بين الفريقين في ضواحي مليلة وكان الجيش الاسباني لا يقل عدده عن ثلاثين ألف مقاتل بمدافعها الضخمة واعتادها المتقنة الحديثة الطراز

وطياراتها العديدة ، والجيش الريفي لا يزال في بدء تكوينه ولما يتجاوز عدده بضعة آلاف ، حدثت معركة في ١٧ يوليو حول انوال - هريت دامت ثلاثة أيام بلياليها اشتبك فيها القرشقان بالسلاح الأبيض ، فأُسفرت عن انكسار الاسبانيين شر كسرة بعد أن استأصل الريفيون منهم (٢٥) ألف جندي قتلا وامرا ، وقتل الجنرال سلفستر قائد الحملة وغيره من كبار الضباط ، ووقع الجنرال (فاناور) مع اركان حربه وعثمانية آلاف جندي أسرى بيد الريفيين ، وقم هؤلا من الاسبان ٣٠٠ مدفع من حيار ٧٥ و (٧٠) ألف بندقية ومقدارا من الاغداد والاخيرة لا يقع تحت الاحصاء لكثرتة ، فكانت واقعة (انوال - هريت) ضربة قاضية على الاسبان ، ومن اشهر المعارك التي لا يزال صداها يرن في تلك الديار

وما ذاع نبأ هذه الهزيمة حتى قامت اسبانيا وقعدت وبقي الملك القرونس الثالث عشر ليالي لا ينام وقام الحزب العسكري يطلب من الحكومة اجراء تحقيق عن الاسباب السياسية التي افضت الى وقوع هذه الكارثة وجعل يتهم رجالها المسئولين بعدم تلبية مطالب الجنرال برانجر قائد الحملة العام في مراكش ، حيث ألقت الحكومة المسؤولية عليه واحالته الى المحاكمة ، وجرت محاكمة في هذا الشأن في مجلس الشيوخ بين الجنرال اجيليرا رئيس المحكمة العسكرية والبحرية العليا والسنيور سائفه جبر احد الوزراء السابقين ووقعت مشاحنة أخرى أدت الى الضرب والكم بين الجنرال اجيليرا أيضا والسنيور سائفه ده لوكا رئيس مجلس الشيوخ للسبب نفسه .

وبعد سقوط وزارة وقيام وزارة أخرى صحت عزيمته الاسبان على الاخذ بالنار واقمم (دولاسرغا) ناظر الحرية الجديد أن لا بد من قطع دابر الثورة الريفية . فجرد لاجل هذه الغاية ٢٠٠ ألف مقاتل

﴿ سنة ١٩٢٢ ﴾

على اثر لكبة (هريت - انوال) ووقوع الجنرال سلفستر قتيلا في ميدان الحرب سارع الجنرال برانجر القائد العام الى منطقة الريف الشرقية لا تقاذ القوات المحصورة في ضواحي مليلة والاستمداد لمجوم كبير ، فصرف صيف وخريف عام سنة ١٩٢١ في عمله هذا ، وبينما كان ينوي الفروع بهجومه الجديد في أوائل سنة ١٩٢٢ جاء خبر مزله فخل أنقاه تاركا متابعه الجنرال برانفور الذي أخذ يعلن في مجريط انه سينشر الامن في الريف وسيجعل الذئب يرعى فيه مع الغنم

وعلى أثر وصول القائد الجديد الى بلاد المغرب شرع في تهئية الحطة التي يريد اتباعها في حرب الريف والاستعداد لتقم الثورة فيها، وفي أوائل سنة ١٩٢٢ تقدم الجيش الاسباني للهجوم بقوة لا تقل عن المائتي ألف مقاتل مسلحين بمدد عظيمة ومعدات وافرة وجميع الجند المنظم من الريفيين لا يتجاوز بضعة عشر الفا غدارت بين الريفيين معارك دامية على طول خط مليلة - كوبا - الحسيمة ، فكانت الحرب سجالا بين الريفيين قارة ينتمى للاسبان وآونة للريفيين ، الا ان الاسبانيون لم يطأوا شبرا من تلك الارض الا على جثث قتلاهم ، فارتوى الرباب بدمائهم بدون ما فائدة

وفي منتصف شهر شباط (فبراير) حمل الريفيون حملة صادقة على العدو فردوه على اعقابهم وولى الادبار لا يلقى على شيء بعد ما تكبد خسائر فادحة وفقد كل مامعه من الذخيرة والاعتاد فارتد الى حصون مليلة

ولما علمت الحكومة الاسبانية بالفاجعة فقدت مجلسا حريا قرر وقف حركات الزحف ، ومباشرة الطرق السلمية مع الريفيين ، فسافر رئيس النظار على أثر ذلك مع ثلاثة من زملائه الى مالقة واستقدموا اليها الجنرال برانفوير المخوض السامي والقائد العام في منطقة الريف لتبليغه قرار الحكومة ، غير ان الجنرال عارض في ذلك اشد المعارضة واصر على لزوم متابعة الحرب الى شهر حزيران (يونيو)

﴿ معركة الحسيمة ﴾

بدأ الجنرال برانفوير بهجومه الجديد في شهر مارس بانزال خمسين ألف مقاتل الى الحسيمة ، وحشد قوتي عظيمة في ناحية مليلة للاحاطة بجبل بنى عروس املا بإدراك بن عبد الكريم في أجدر ابتدأت المعارك في ليل ١٠ مارس وكان الجيش الاسباني قد تقدم باذى يده بالخطر والانتباه وراز بالاستيلاء على مواقع الريفيين في الخط الاول ، فصمد له الريفيون في المخطوط التي تليها وقتلوه قتالا عصبيا اسفر عن ارتدادهم من المخطوط التي احتلها بعد أن تكبد بخسائر تقدر بألاف من القتلى والجرحى .

وفي ٢٥ منه قام الريفيون بهجوم عام على طول الخط واشتدت المعركة حول الحسيمة اشتركت فيها المدفعية الريفية لأول مرة ففتكت بالجيش الاسباني فتكا ذريعا وخربت جميع المباني وقد دامت هذه المعركة اسبوعا كاملا كان فيه النجاح والنصر حليف الريفيين فاصيب الجنرال

براذنوير بجراحتين خطيرتين في صدره وقتل من جيشه خمسة آلاف مقاتل واسر الريفيون ثلاثة آلاف وغنموا ذخيرة ومعدات لانحصى

فسافر على الاثر الجنرال المتحوض الى بجرليط وقرر اركان حربه المدول عن متابعة الحركات الهجومية في أجدر وهولت على حشد قواها حول مليلة لاجل توسيع منطقتها حول هذا المرمى ولكن الريفيين تابمروا هجومهم فدمروا مواقع اسبانية عديدة وأغرقوا لهم بوارج حربية وعطلوا بعضها واشتركت السفينة الريفية في هذا الهجوم فقصدت بعض الجزر التي هي بازاء البر وضربتها فأحدث ذلك تأثرا سيئا في اسبانيا وهاجت الخواطر وقلقت الافكار

﴿ مفاوضات الصلح ﴾

اتحدت حكومة اسبانيا على أثر كارثة الحسيمة السنيور (عيفاتا) المثيري الاسباني لمفاوضة الامير ابن عبد الكريم في عقد هدنة تكون اساسا لمقد الصلح وفك الاسرى الاسبان فساهم المندوب الى اجدر وعقد اجتماعات عديدة مع الامير انتهت بعقد الهدنة وتوقيف القتال مؤقنا وفك اسرى الاسبان مقابل مبلغ تدفعه اسبانيا لحكومة الريف قدره أربعة ملايين (بسيطة^(١)) وتسريح جميع مساجين الريف الموجودين لدى الحكومة الاسبانية

ثم دارت المخابرة حول عقد الصلح وانهاء الحرب دامت مدة طويلة لم تسفر عن نتيجة حاسمة لان الامير يعترض الاعتراف باستقلال الريف التام واسبانيا ترفض ذلك وتصر على منح الريف استقلالاً داخلياً فقط

﴿ سنة ١٩٢٣ موقعة داغيت ﴾

في ٧ يونيو ١٩٢٣ (٢٢ شوال ١٣٤١) هجمت قوة من الريفين مقدارها سبعة آلاف على خط جبل درسة - شعوان فتقدمت الى الامام واستولت على مراكز العدو الامامية عنوة وأحاطت بمركز (توياس) ولم تتدخل عنها الا بعد معارك شديدة اشتركت فيها قوة من الاسبان لاتقل من ثلاثين ألفاً خسروا منها ألف مقاتل بين جريح وقتيل

ثم وجه الريفيون قواهم على مدينة (داغيت) ، حدث هناك معركة هائلة تشيب لها الولدان واصل الجيش اليفي العدو نارا حامية وقتل به فتكا ذريعا يقارب على رواية مراسل التامس من

(١) بسيطة عمدة اسبانية تساوي فرنكا واحداً

فتك معركة غريت - أنوال . واصبحت حالة الجيش الاسباني خطيرة حتى ان قادته صرحوا بان الموقف أصبح محفوفاً بالصعاب .

﴿ مؤتمر تطوان ﴾

ما ذاع خبر هذه الكارثة في اسبانيا حتى عقد مجلس الوزراء اجتماعات متتالية قرر على أثرها انتداب وفد للذاكرة مم الامير ابن عبد الكريم في عقد الصلح . فسافر الوفد في شهر يوليو ١٩٢٣ (ذي القعدة ١٣٤١) الى تطوان وطلب الى حكومة الريف ارسال وفد لينوب عنها في المذاكرات التي قررتها الحكومة ، فانتدب الامير اثنين من رجاله حضرا الى تطوان ، حيث عقد فيها مؤتمر للبحث في عقد الصلح مع الريف وانهاء الحرب . وبعد اجتماعات عديدة انقرض عقد المؤتمر دون أن يتمكن من الوصول الى حل المشكلة ، لان الوفد الريفي أصر على تطبيق الميثاق القومي ولم يتزحزح عنه قيد شعرة ودارت بين سكرتير الوفد الاسباني وبين وزير خارجية الريف محادثات هي من الوثائق الخطيرة في تاريخ حرب الريف والى القارئ نصها :

١ - رسالة الاسبان

من الكاتب العام دون ديكون سافيدرا ، الى السيد محمد بن محمد ازرقان :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فنعلمكم انا عند وصولنا لهذه المدينة وصلني كتابكم المؤرخ في ٢٨ ذي القعدة الموافق ١٢ يوليو ، وجواباً عنه نخبركم اني بصفتي رئيساً للجنة التي توجهت للمفاوضة معكم في شأن الصلح لم يتبدل منهاج معاملي ، فاني كتبت بعض المكاتيب الخصوصية لسيد محمد بن عبد الكريم الخطابي ولكم رغبة في مواصلة المحادثات على كيفية ممكنة يعني اعتماداً على الاعتراف الناقص عن تنفيذ اليهود الدولية على وجه تام وذلك مانعتقد انه مرادكم ومراد رئيسكم ولكن القائد على بادرة وكاتب المرسلين من جانبكم رفضوا ذلك على وجه قطعي . من الملاحظة الثانية الواقعة بين الاجنتين حيث امتنعت من تسهيل التفاوض معنا رأساً على كيفية مقبولة وأعلمتم القائد لمطار من جزيرة النكور بأنكم في شاطئ البحر أمامنا قد هزمت على عاربة العسكر التي هي لنا معرة واهانة تمنع بضرنا . ان الواجب علينا هو اياها ولكن قبل اياها يجب أن نلهمكم كتابة انه ان كان مرادكم للمفاوضة في الصلح بالنية والصدق فنحن مستعدون دائماً لذلك ، وعليه فنظراً لكتابكم المؤرخ ١٢ الجاري يجب علي أن أقر لكم أن لا بأس من رجوعنا بقصد مواصلة المحادثات ولكن من الواجب كما هي العادة أن يقدم قبل الاتفاق في بيان المقصود وبناء

على ذلك فمن اللازم أن تكونوا على علم بالمسائل الآتية وهي :

- ١ — أن تكون الخبائر اما في الجزيرة واما في المركب كما وقعت الخبارة الاخيرة .
- ٢ — لا يمكن المفاوضة ولا المجادلة فيما يتعلق باستقلال المملكة الريفية ولا في شيء ينبر ماهو معقود دوليا من عقد سنة ١٩١٢
- ٣ — يمكن المباشرة في منح نوع من التبديل ادائيا واقتصاديا في القبائل الريفية وفي الوظيفة والرتبة التي يتمتع بها السيد محمد بن عبد الكريم الخطابي وحكام القبائل الذين يحكمون تحت نظر جناب الخزن (وكيل السلطان) وحماية الدولة الاسبانية .
- ٤ — تقع المفاوضة بنوع خاص في شأن توسيع دائرة التجارة والصناعة والفلحة في القبائل الريفية والامانات المنوية والمادية من جانب الخزن وجانب الدولة الحامية .
- ٥ — تقع الخبارة أيضا في شأن الضمانات لتلك الارض الواجب منحها لائلاء كل متعاهد ومتعاقد . فان كنتم توافقون على هذه الشروط فالرجو من جنابكم أن تردوا لي نسخة منها موقعا عليها من جانب رئيسكم وحيثئذ ترجع الاجبة لاتمام ذلك نهائيا . وأخيرا فالرجوكم أن لاتراخوا منا الارغبة في الصلح النهائي المستدام وأن تركوا كل ريب واضطراب وخدعنا اياكم تتمشى معكم بالصدق منما لسفك الدماء باطلا ورغبة في أن الريف يكون كما يستحق مركزاً للنجاح والمهارة والثروة والادب لاسبانيا بل لوطنيين الذين يستحقون ذلك غاية الاستحقاق وزيادة على ذلك يجب أن نعلمكم على حسب الامر الصادر من الحكومة الاسبانية ان جوابكم عن كل ما عرضناه عليكم يجب أن يكون في يدنا ضمن مدة ٤٨ ساعة من ساعة استلام هذا الكتاب وتأسف غاية الاسف ان لم تعبروا صمما لاحق بما يعود لمنفعتكم وتنبخوا من أنظاركم ماهو منفعة حقيقية الاكن وتتخذوا طريقا تهديكم اضروكم ولافضيحة العامة ، فان تعادبتكم على هذا الفاظ فان اسبانيا تتخذ جميع الوسائل الواجبة لاتخاذ ناز هذه الثقتة ولاجراء الاتضاءات بوسائل لاتختارها أبداً أن تعلق بنظرها فقط توسيع ماعدن اليها من جانب الدول المتقدمة فان كنتم صادقين في كلامكم في الصلح فاثومل أن تكونوا مستعدين لاختيار الطريق النافذ للخير والنجاح دون تردد . وبمدامعان النظر في جميع ما ذكر وترك كل تهمة اجيبوا عما نعرضه عليكم . سلاما على الجميع والسلام .

تطوان ١٤ يوليو سنة ١٩٢٣ الموافق ٣٠ ذي القعدة سنة ١٣٤١

الكاتب العام
ديكوسيفر

٢ - جواب حكومة الريف

الحمد لله وعمره

من السيد محمد بن محمد أزرقال الى السنيور سافدرا

تحية وسلام . وبعد فاستلمت كتابكم المؤرخ ٣٠ ذي القعدة في الساعة الثانية نهاراً من سابع ذي الحجة الحالي والذي يشبه الاخطار النهائي لنا الامر الذي استغربه الى النهاية من كل التفصيل ومن جميع الوجوه وذلك رغمًا من أن القاعدة تقضي بوجوب متابعة المخاربة بواسطة الوفد الذي عيناه والذي يمثل أفكار الشعب الريفي الذي هو عبارة عن أكثر من مليون نفس و يربو عده المقاتلين منه على مائتي ألف . زاكم نواصلون المذاكرة على طريقة غير رسمية . أما اذا كان ذلك لاجل أنكم ترغبون في الصلح كما هو مضمون احدي مواد كتابكم فانا نجد في أنفسنا من الرغبة أكثر من ذلك ولكنه لا يمكن لنا الخروج عن القاعدة المعلومة في مثل هذه الشؤون المهمة . نعم بهذه المناسبة أرى من واجبي وشوامري الانسانية وبصفة كوني مكلفاً من النظارة الخارجية لدولة الريف أن أصرح لكم بما يأتي :

ان الحكومة الريفية - التي تأسست على قواعد عصرية وقوانين مدنية - تعتبر نفسها مستقلة سياسياً واقتصادياً آله أن تعيش حرة كما عاشت قرونًا وكما تعيش جميع الشعوب . وتري لنفسها أحقية امتلاك ترابها قبل كل دولة ، وتعد القسم الاستعماري الاسباني معتدياً خاصباً لاحق له فيها يزعمه من نشر الحماية على حكومة الريف . والحالة أن الريف لم يعترف بها أصلاً ولن يعترف بها ويرفضها رفضاً ويلتزم أن يحكم نفسه بنفسه ويسمى في نوال حقوقه الشرعية التي لا نزاع فيها ويدافع عن استقلاله التام بكل الوسائل الطبيعية ويحتج أمام الامة الاسبانية وعقلائها الذين يعتقد فيهم أنهم يعترفون بأحقية مطالبنا المعقولة الشرعية قبل أن يجازف الحزب الاستعماري الاسباني بدماء أبناء شعبه في سبيل مطامع شخصية وادعاء حقوق موهومة ، طالما أن الحزب الاستعماري الاسباني يخدم مصالح الغير . ولو انه يحاسب نفسه وضمره لوجد نفسه مخطئاً . وانه من قريب يرى أنه قد تسبب لامتته في الخسارة بسبب تطاوله الى الاستعمار ، والاستعمار لا يوافق مصلحته . فالواجب عليه أن يتلافى الامر قبل أن يعمر تداركه . ونحتم

الحكومة الريفية على كل عمل اعتدائي يصدر من الحزب الاستعماري الاسباني أمام العالم المتتمدن وأمام الانسانية وتبهرأ من كل مسؤولية وعهدة فيأصاه أن يقع من اذلاف الارواح والاموال ، هذا واقتا نحب أيضاً كيف انكم تجاهلتم أن من صالح اسبانيا قضاها مسالة الريف والاعتراف بحقوقه واستقلاله والحفاظة على علائق الجوار وتعتين عرى الاتحاد مع الشعب الريفى غوضاً عن التمدني عليه واهاته وهضم حقوقه الانسانية والشرعية طبقاً لتاموس الممران ووفقاً للماهدة فرساي الواقعة بعد الحرب العظمى العالمية - تلك الحرب التي تعلم منها الانسان نتائج التمدي والنصب والمعرفة وعلم العالم انه لاسبيل الى اهانة الانسان وانه من الواجب العقل الطبيعي ترك كل أمة وشأنها لتدبر أمرها بنفسها - وان الجبروت والقوة يصيران كل شيء أمام الحق - تلك الماهدة التي خطها رؤساء دول عظيمة خاضت غمار الحرب وذاقت كاس الوبال بنفسها فلم يسما في آخر الامر الا الاعتراف بالحق ومنع الشعوب حقوقها مهما كانت صغيرة ، ورغمما هن ان الساسة يقولون ان الماهدات حبر على ورق - وان الحق كسيف - فالحق انه لا بد من التوفيق لانجاز المعرورع والا فلا يزال العالم في الارتباك والحيرة والاضطراب الذي يهدد العلم العام اذ كل شعب يناضل عن حقه ويطالب بحريته ، اذاً لا تار على اسبانيا اذا عايت في وثام مع الريف بعد الاعتراف بحكومته واستقلاله ومبادلة المصالح المشتركة بل يكون لها حينئذ الافتخار والشرف ويكون في تاريخها نقطة يبعث . ومن جهتنا فان الحكومة الريفية مستعدة لان تتلقى بكل معة تغيير خطة الحزب الاستعماري المهادية وترغى بكل رفبة زوال سوء النقام الذي كان منشأ الخروج عن نقطة الاعتدال والتعصب المذموم وعدم التبصر والتأني والنظر في هواقب الامور في وقت كانت الاعمالات النفسانية الخبيثة متحكممة كما ان الحكومة الريفية تأسف كل الاسف اذا تمادى الحزب الاستعماري على التمدي والتعاطف والتعكم .

تصوروا انكم أنتم لو كنتم المهاجرين في دياركم من اجنبي يريد السيطرة عليكم واستلاك رقابكم ، هل تكونون من الغاضمين لذلك القاتع ولو ادمى من الحقوق ما ادمى ، وزعم مازم ؟ لا اخال الا انكم تدافعون عن انفسكم حتى بنسائكم وكل قواتكم ولا ترضون الاستعباد ، والتاريخ يشهد لكم بذلك . تصوروا كذلك الريف وكل رجاله يعتقدون اعتقاداً متيناً انهم يحقون في سبيل الحق ويدفعون من شرق ما فرق من شرف ولا يرجعون من هذا الاعتقاد حتى يرجع الحزب الاستعماري الاسباني من سوء نيته أو يمجوتوا عن آخرم . لا يسعني الا ان أصرح لكم نصريحاً

نهائياً ان الريف لا يعدل ولا يغير خطته التي سار عليها الوفد وهو انه لا يفتح التخابرة في الصلح الا على أساس اعتراف اسبانيا باستقلال الريف .
أما التخريب العسكري الذي أجريناه في شواطئ المكور وقد قدمنا لكم الاعلام به فليس صادراً عن سوء قصد ولكنه كان واقعياً واعلمناكم به قياماً بواجب الهدنة التي كانت بين الطرفين

محمد بن عبد ازرقان

وحيث ان هناك بونا شاسعاً بين مطالب الريف والاسبانيين فقد اخفق المؤتمر وماد المندوبون الى بلادهم .

﴿ معارك شهر أغسطس ﴾

بعد انقضاء مؤتمر تطوان بدون نتيجة طلب الجنرال (جوتزاتيدو) المفوض السامي في مراكش القيام بحملة عسكرية حاسمة في الريف فعارض ثلاثة من الوزراء في جبريط اى تقدم في مراكش ، ورفض وزير المالية ان يأذن باعطاء النفقات اللازمة لاستقلال المندوب السامي وعين مكانه بالنيابة الجنرال (ايناخ) .

وما وصل المندوب الجديد الى مقر وظيفته حتى قابله الريفيون بحملة عنيفة وذلك في منتصف شهر اغسطس ، فحاصروا (فرو ، وتقر ، وسيدي ادريس) حصاراً شديداً ، فأحرقوا بمراكش الاسبان الامامية ومنعوا عنهم المونة والذخيرة واجهزوا على طليعة جيش العدو فأبادوها من بكرة أبيها .

ثم سير الريفيون جيشاً يقوده الامير بنفسه على خط ششوان - تطوان فقطع خط الاتصال بين الوحدات الاسبانية وخرج موقف العدو فأحدث ذلك ذعراً في اسبانيا وصدر الامر بالنهت جميع الاجازات العسكرية وتمرد الجنود والاسبان في مائقة مترشحين على السفر الى المغرب الأقصى ، وقامت الاحزاب الاشتراكية وتقايات العمال باعتصاب طام ضد الحرب فاستحوذ القلق العظيم على رجال حكومة جبريط مما اضطرها لان ترسل اثنين من العائلة المالكة الى ميدان الحرب تهدئة للخواطر ، ولاضرام نار الحماسة في نفوس الجند ، وطلبت الى المندوب السامي اجراء المفاوضات مع ابن عبد الكريم لقصد الهدنة ، فأرسل المندوب بطلب الامير للاجتماع معه ،

ولكن الأمير رفض الذهاب اليه بنفسه ووافد رجلا بالنيابة عنه ، وهذا أبلغ الجنرال ان الأمير سيد البلاد ، فهو في مركز مماثل لمركز ملك اسبانيا ولذلك لم يأت بنفسه ، بل أرسل رجلا يمثله كما تمثل أنت ملك بلادك ، وهو لا يفاوض سوى الملك نفسه ، وهكذا ذهبت مساعي الاسبان أدراج الرياح .

وابتدأ زحف العدو في ٢٣ منه من مواقعه وسارت جنوده نحو زيارة فيتارين محاولا اجلاء الريفيين عن مراكزهم ، فصعد الجيش الريفي وصد الاسبان مرات تجهم من جراتها المشاق والمتاعب على حين ان قوة الاسبان لا تقل عن ثمانين ألف مقاتل ، ويقابلها سبعة آلاف من الجند المنتظم الريفي ومثلها من القبائل .

وفي ٢٥ منه اشتبك الفريقان على أبواب تيفارين وهمم الريفيون على العدو بالمدى والحرارات وظهرت النساء بين صفوفهم يشتركن في القتال ويقعجن الرجال على الحرب بالغاريد ، وكانت الطيارات والمدفعايات والبوراج الاسبانية تطلق قنابلها من الحسيمة بقصد لفت نظر الريفيين عن موقع الهجوم الحقيقي فدمرت قرى ودساكر ، وبعد معركة دامت تسع ساعات متتالية تمكن العدو من فك الحصار عن المدينة . تاركا في ميدان الحرب ما يقارب من ثلاثة آلاف قتيل ومثلها امرى بيد الوطنيين فقبل اقتاذاها في اسبانيا بمجاعة شديدة وارسل الملك والملكة برقيات التهنئة في الجيش .

وفي ٢٩ منه دخل ثمانون من الوطنيين مدينة (تطوان) ليلا بعد ما أخفى أفرادها السلاح تحت أثوابهم وأطلقوا الرصاص لجأة في الفوارع فقتل من الاسبان عشرة وجرح ٣٤ وأعاد الريفيون الكرة على العدو في ٣٠ منه واحتلوا بنى حسن وأبادوا تابورا اسبانيا برمته مع قائده ، وهاجوا الحياطة الاسبانية في (كيكسوان) وأما كن أخرى وضيقوا الحصار عليها وقطعوا المواصلات مع (تيزازة وافرو) فأصبحتا في معزل تام عن الجيش ولم يقدر الاسبان على رفع الحصار عنها الا بعد جهد جهيد .

﴿ الانقلاب في اسبانيا ﴾

قلنا في مواضع مختلفة ان الحرب الريفيه صارت شوكه في حلق الاسبانيين ، وان القلق استحوذ على الرأي العام ، والسخط والتذمر اعتدا في اسبانيا ، حتى أصبحت الحكومة عاجزة

من صد التيار فكانت الكارثة الاخيرة من أكبر الاسباب التي حملت الجنرال دي ريفيرا على القيام في وجه الحكومة والتفرد عليها في برشلونه ، فاستقالت الوزارة على الاثر وتبوأ الجنرال مقعد الحكم مكانها .

وما تقلد زمام الامور حتى صرح بأن حكومته قررت نهائيا قمع ثورة الريف والقبض على زعيم الثوار ابن عبد الكريم ، وانها عهدت في القيادة العليا الى الجنرال (إيزورو) وزير الحرية السابق وخولته السلطة الواسعة ، الى غير ذلك من عبارات الاطمئنان .

﴿ سنة ١٩٢٤ ﴾

في شهر مارس (شعبان ١٣٤٢) زحف الجيش اليفي بقيادة الامير ابن عبد الكريم متجها نحو ملية ، وسارت فرقة من اليفيين نحو شعوان — تطاوت لمهاجمة خطوط المواصلات الاسبانية ، فقطعوها واحتلوا مواقع العدو الامامية ، وخرق الجيش الذي يقوده الامير خطوط العدو الى أن أصبح على أبواب ملية ، فسارت كتيبة من هناك الى الثرب ، فأخترقت خطوط الاسبان في (تزيارة) وأحرقوا بها من كل جانب واندسوا منها متجهين نحو (ميدار) فذهر الاسبان ووقفوا في حيمس يمين وجانبهم النجدات من اسبانيا ، وحملوا على اليفيين حملة شديدة ، فقابلهم المنااربة بالمثل وألقت طياراتهم القنابل على مدينة ملية فأحدثت حريقاً في بعض احيائها ، وسلطوا مدافعهم على الساحل فأصاب الطراد (كاتالوفيا) وقتل قائده ، ولم يقدر الاسبان على فك الحصار عن مدينة ملية الا بعد أن تكبدوا الخسائر الفادحة ، أما حصار مدينة (تزيارة) فقد طال حتى شهر مايو .

﴿ تصريحات ملك اسبانيا ﴾

نشرت جريدة (الفيغارو) الفرنسية بتاريخ مايو سنة ١٩٢٤ حديثاً فملك الفونسو الثالث عشر ملك اسبانيا تقتطف منه مايلي :

سأله المراسل :

— هل جلاتكم راضون عن الاتفاقات المعلقة مع فرنسا ؟

— أرغب في أن أكون دائماً على اتفاق مع فرنسا . والاتفاقات التي أبرمناها منذ سنة

١٩٠٦ هي أفضل دليل على هذه الرغبة .

— حتى اتفاق طنجة ؟

— ان نظرة سطحية الى خريطة المغرب الاقصى تكفي في مؤونة الرد على هذا السؤال ، فانه لم يبق لنا من البلاد المشمولة بحمايتنا ومساحتها ٢٠٠ ألف كيلو متر مربع سوى ١٨ ألفاً ، أما الالوف الاخرى من الكيلومترات فقد استفاد منها غيرنا ، وهذا سبب آخر يحليني على أن أكون دائماً على اتفاق مع فرنسا .

— هل تعتقدون أن في وضع خطة مشتركة للعمل في المغرب الاقصى فائدة لاسبانيا ؟
— لا ريب في ذلك ، لان احتلال المدو للمنطقتين يجعل للاتفاق على عاربتة من أعظم الامور شأناً .

— هل تفكر اسبانيا في الجلاء عن قدم من المغرب الاقصى اذا أراد الشعب ذلك ؟
— لم نذهب الى المغرب الاقصى من تلقاء أنفسنا ، بل نحن فيه لقيام بمهمة دولية لقيت على ماتقنا ولا يمكننا التخلي عنها .

﴿ نصريحات ديكتاتور اسبانيا ﴾

نشرنا في الفصل الثاني نص الكتاب الذي أرسله الامير ابن عبد الكريم الى المستر مكدونلد رئيس الوزارة البريطانية بواسطة المستر ورد بريس مراسل جريدة (دايلي ميل) ولما اطعم الجنرال بريمو دي ريشيرا على نص مضمونه صرح للراسل المذكور بما يلي :

يستحيل عقد الصلح على الاساس المذكور في هذا الكتاب ، فاذا كان ابن عبد الكريم يريد استقلالاً فني وسمه أن يناله تحت الحماية الاسبانية . واذا خضع فاننا مستعدون لنمنحه قسماً وافراً من الحكم الذاتي كما فعلنا مع الريسولي . أما الاستقلال الذي يتخذه عبد الكريم فحجة له فغير موجود حقوقياً لان المناربة في الريف كانوا في كل حين خاضعين لسلطة سلطان مراكش الاسمية وقد اتدبنا السلطان لممارسة هذه السلطة عليهم ، فاسبانيا قائمة بمهمة دولية وقد اعترفت الدول المعطى بحمايتها على شمالي مراكش ، وان فكرة تأليف دولة مستقلة صغيرة ههجيبة على شاطئ البحر المتوسط الجنوبي ليست مدار البحث ، ان كرامة الشعب المغربي تحترم كل الاحترام تحت الحماية الاسبانية ، فمكان المنطقة التي تحتلها احتلالاً راسخاً يتمتعون كل التمتع بحريتهم الشخصية وحريةهم الدينية ، ومعيشتهم أفضل بما لا يقاس من معيشة أنصار ابن عبد الكريم .

﴿ للعارك الحاسمة ﴾

بعد سكون نسبي ساد في ميدان الحرب مدة شهر ونصف قام الجيش الاسباني بهجوم شديد في أوائل مايو سنة ١٩٢٤ حوالي سيدي مسعود ومليلة فقابلهم المغاربة بقوة لانفتي وصمدوا لهم في مواقعهم فتطاحن الجيشان تطاحنا عنيفاً، واشتركت كتيبة من الطيارات الاسبانية لاقتل عن سبعمين طيارة بالحرب علق عليها المدو آمالاً عظيمة . وعبثاً حاول الاسبان في حملتهم هذه اجلاء الرننيين من مراكز الحصينة فذهبت جهودهم أدراج الرياح ، فقد دافع المغاربة في هذه المعركة دفاع المستعيت بالسلح الابيض ، ودحروا الاسبان عن مواقعهم باديء بدء ، ولكنهم اضطروا أخيراً الى الجلاء عن هذه المراكز بمد أن تكبد الطرفان خسائر فادحة .

وفي هذه الاوقات قلبت القبائل - القاطنة في المربع القائم بين نهر تطوان والبحر ، ووادي الو وطريق تطوان شقوان - ظهر المجن للحكومة فاقضت على جيوشها من كل حذب وصوب حتى أصبحت مراكزها الداخلية محصورة ضمن نطاق من الحديد والنار ، فقد بدأ الهجوم في ٢٨ يونيو على النقطة الاسبانية في (قبة الدرسة) وحاصر المغاربة حاميتها المؤلفة من أربعين جندياً فأرسلت النجيدات بعضها تلد بعض دون أن تتمكن من اقتحام الا في ٧ يوليو بمد أن جاءوا بقوات كبيرة لهذا الغرض من مليلة ، واحدقت القبائل بمراكز اسبانية أخرى ، وقطعوا عنها المؤن والناظر .

ولما بلغ خبر قيام هذه القبائل مسمع الامير ابن عبد الكريم أرسل شقيقه الامير محمدا الصغير بقوة مؤلفة من ثلاثة آلاف مقاتل الى الحدود فرابطت في قبيلة غمرارة فافتد ساعد القبائل بجى ، الامير الصغير ، وقامت كلها في وجه الاسبان وهاجمتهم على انعطوط الواقعة بين شقوان والبحر وأحدقت بمركز (داغيسيت) ، فأمرعت القيادة الاسبانية الى ارسال النجيدات لاقتاد جيوشها المحصورة ولكنها لم تزد بطائل فاضطرت أخيراً لقيام بهجوم عام لرفع الحصار عن المراكز المحصورة وايصال المؤن الى الجنود الذين فيها فدارت رحى معارك شديدة لم يقع مثلها تقدمت على أثرها الجيوش الاسبانية تقدماً بسيطاً .

وبينا كانت حكومة جبريط تملن بفائز النصر والتموز جاء الخبر باشتعال نيران الثورة بين القبائل الساكنة بين تطوان ونهر الو ، وبأن قسماً من قبائل جبالا (وهي قبائل الريسولي) قد

تقلدت السلاح وانضمت الى قوة الامير محمد الصغير .

وكانت القوات الاسبانية في تلك الجهة مؤلفة حينئذ من ٤٠ - ٤٥ ألف مقاتل قسموها الى ثلاث فرق رابطة الاولى في أسفل (وادي الو) بقيادة الجنرال (سيراو) والثانية في جهة (سوق الاربعاء) على طريق تطوان — شعوان بقيادة الكولونيل (ديكلم) والثالثة في مدينة شعوان نفسها بقيادة الجنرال (جروند) وقد كلف هذا انقاذ القوات المحصورة في أواسط (وادي الو) فوقعت هناك معارك شديدة ، حمل فيها المغاربة بقيادة الامير محمد الصغير حملة صادقة ، دامت ثلاثة أيام بلياليها فانكسر الجيش الاسباني شر كسرة وارتد على أعقابها خاسراً .

وفي ٢ سبتمبر ١٩٢٤ عدت حكومة عيريط بهتل الجنرال (جروند) ، فمزله وعينت الجنرال (بوكيادي يانو) بدلاً منه ، ولكن الرقبين قطعوا جميع الخطوط السككينة بين تطوان وشعوان واستولوا على كل مراكزها . فلجأ الاسبان الى الطيارات لنقل المؤن والماء من قواعدهم البحرية الى مراكزهم التي أصبح معظمها محصوراً وعدل الجنرال الجديد عن السفر لبعده عن الذهاب الى مكان قيادته ، حيث أصبحت طرق المواصلات بين جميع المدن والقرى الداخلية غير مألوفة ، وبلغت القوات الرقبية من التفند الى المرائش في شواطئ بحر الاطلانتق من جهة ففكتكت بالمال المكافئين انشاء الخط الحديدي بين طنجة وفاس ، وسدت الطريق بين طنجة وتطوان وحدث من تطوان من جهة ثانية .

ففي هذه الحالة وصل الجنرال برعمودي رقبيراً أخيراً الى الريف قلبه نجيدات كبيرة ، ولكن القوات الاسبانية التي كانت محصورة في أطالي (وادي الو) سقطت وبانت القوات في (قبة الدراسة) نفسها والتي يقودها الجنرال سيراو نحت الخطر واقطعت كل صلة لها بسائر القوات الاسبانية من جهة الجنوب ، فاضطر الجنرال برعمودي رقبيراً أن يأتي بالنجيدات بمرأ الى سبتة .

﴿ اجتماع تطوان ﴾

عقد الجنرال بمد وصوله تطوان اجتماعاً كبيراً حضره اثنا عشر قائداً من قواد الجيش ، نجرت المذاكرة حيال الحالة الحربية ومايجب اتخاذ من التدابير ، وبعد اجتماعات عديدة أقر الحاضرون نشر الاحكام الرقبية في طول البلاد وعرضها وحشد جميع مالدى الحكومة الاسبانية من الجيوش وارسلهم الى المغرب الأقصى ، والا ، من المواقع التي بداحلية البلاد الجبلية البعيدة عن

المركز واذا عاين اعلان يتضمن تهديد الاهلين بتدمير القرى والساكن التي تساعد العصاة (٢)
وانزال العقاب الشديد على كل من يؤوئهم أو يمد لهم يد المساعدة
﴿تحلية الاماكن الداخلية﴾

وما انقطع عقد الاجتماع حتى باشرت القوات الاسبانية الانسحاب من هذه مراكز كانت على جانب عظيم من الاهمية منها (امر وتحييسات ونازا وتاطبوط والقلمة) وعشرات اخرى غيرها بعد أن دارت معارك هائلة تفيب لها ولها الولدان اهمها موقعة تمزغت التي تبعد عن اسوار تطوان نحو ثلاثة اميال ففى ٢٥ سبتمبر اراد الاسبانىون ان يوصلوا الذخيرة الى مركز تمزغت فخرجوا بقوة كبيرة لحراستها وبينما هم فى اثناء الطريق اذ هجمت عليهم القوات الريفية فشب القتال بين الفريقين ودام اليوم كله وأخيراً انهزم الاسبانىون واستولى الوطنىون على جميع القناطر التي بلغت قيمتها مليوناً من (البسيطة) أى ما يقرب من أربعين ألف جنيه ، ثم فى فجر اليوم التالى خرجوا أيضاً بذخيرة اخرى مصحوبة بقوة عظيمة من حساكر المرتزقة بقيادة الامير عبد المالك الجزائرى ولكن حفظ هذه الطائفة لم يكن احسن من سابقها فبعدما ظلت تحارب طول النهار انهزمت فى آخره بعد ما تركت القسم الاعظم من رجالها طريحاً ما بين قتيل وجريح ومن جهتهم الامير عبد المالك نفسه وهكذا دام الحال فى الايام التالية .

ولما كان هذا المركز واقفاً امام تطوان فقد وضم العدو المدافع الكبيرة داخل اسوار تطوان وهى التي كانت تضر الريفيين قنابلها كما كانت طياراتها تلقى عليهم مختلف مقذوفاتها ولكن بدون جدوى ولم يتمكن الاسبان من الوصول اليها الا بعد ان تكبدوا خسائر فادحة . فضاعت مستشفيات تطوان عن جراحهم فنقلوا ما بقي منها الى سبتة ، وقد بقى القطار بين سبتة وتطوان ينقل الجرحى ثلاثة أيام متوالية .

ثم جمع العدو صفوفه ونظم شتوه وزود جنوده بما يحتاجون اليه من زاد وميرة استعداداً لفتح الطريق بين تطوان وشفشوان واخاذ المدينة الاخيرة . وأصدر الجنرال ايزبورو منشوراً على الجيش يستنهض فيه الهمم ويقوي الروح المعنوية بالاشارة الى ان الاسبان متوقفون على خصومهم من الوجهة المادية ، واهاب بهم أن يظهروا بسالتهم وثقتهم بانفسهم فى المعارك الفردية والمعارك الاجتماعية على السواء . ثم ختم منشوره بقوله «لا تنهوا ولا تضعفوا ولا تكن تضعيتكم

بالوطن عديعة للشرف عديعة القوز » .

وكانت الخطة التي تقرر السير عليها هي ان يهاجم خط شعوان من تطوان ومن المراكش -
التفندق في وقت واحد فسارت القوات بقيادة ثلاثة مجزلات اقدم (كسترو) من القلب والثاني
(سيرانو) من الجناح الايمن والثالث (بوكياديانو) من الايسر . ولم تصل هذه القوات الى
شعوان الا بعد ان لاقى صعباً حمة ومفاق عظيمة في اقصى المغاربة فيها ، ودارت حروب
شديدة جرح فيها الجنرال (كاسترو) جرحاً بليفا وقتل اثنان من ياورانه وغنم المغاربة محمول ٧٥
سيارة كبيرة من مختلف الذخائر .

ولكن المغاربة اعدوا الكرة على طريق تطوان - شعوان ووجهوا ضرباتهم الى مرا كز
عديعة حتى اصبحت الحالة تبت على التناق ، وفكر الامدو في اخلاء شعوان بعد دخوله اليها .
ومارت البقية الباقية من قبائل جبالا لاحتلوا على مرا كز الاسباني على خط هجرين -
بني مروس ، واحدقوا بالفرق الاسبانية المعسكرة هناك ، وقطعوا عليها خط الرجعة المؤدي الى
(ازيلا) التي تبعد عن مركز الفرق مسافة عشرين ميلا .

وحاصرت قوة منهم المرا كز الامامية الواقعة في (تازروت) مقر الريسولي فقامت للقيادة
الاسبانية بتضحيات عظيمة لا تقاها او تمونها على الاقل فلم تفلح .

ولما رأت حكومة جبريط عاجز المندوب السامي في مرا كز عن تسكين الحالة عزلته ، وصدر
الامر بتعيين الجنرال برمودي ويغيرا الديكتاتور مندوباً سامياً في المغرب الاقصى علاوة على
وظائفه الاصلية ، لحاء الى تطوان وعقد مجلساً حريباً كانت نتيجته الاجلاء على المدن الداخلية
والاكتفاء بالنزول في الموانئ الساحلية التي كان يربط فيها الجيوش الاسباني سنة ١٩١٢ ،
ومفاوضة ابن عبد الكريم في عقد الهدنة للقيام بالاجلاء بدون ما خسارة .

❦ شروط الهدنة ❦

فاتتدب الجنرال برمودي والسينور (شفاثا) المثري الاسباني الكبير لمفاوضة الحكومة الريفية
بأمر الهدنة قبل الامير ابن عبد الكريم للمفاوضة لتقريرها وارسل مندوباً عن حكومة الجمهورية
الريفية صهره السيد محمد بن محادي . فعرض المندوب الاسباني الصلح على أن تترك اسبانيا المواقع
التي جلت عنها فلم يقنع المندوب اليفي بذلك وقال ان حكومة الريف تعتبر نفسها منتصرة واسبانيا

مغولية ولذلك يطلب غرامة وتمويضات واشترط لمقد الهدنة تنفيذ المواد التالية :

- ١ - ان تدفع اسبانيا عشرين مليوناً من الجنيهات آمويضات .
 - ٢ - ان تملأ اسبانيا لحكومة الريف خمسة عشر طيارة ، ومئة ألف بندقية ، ومئة وعشرين بطارية مدافع جبلية .
 - ٣ - ان يحلوا الاسبان عن مراكز الى حدود مليلة وسبتة .
 - ٤ - اذا قبلت اسبانيا بشروط هذه الهدنة سيبحث في الصلح ومبادلة الامرى .
- هذه هي الشروط التي طلبها مندوب الريف . ولكن الاسبان رفضوها رفضاً باتاً وامر المندوب الساسى بقطع المفاوضات واصدر بلاغا بتنفيذ المادة الاولى من قرار المجلس الحربى وهي القاضية بالجللاء عن ٢٠٠ مركز من مراكز الريف .

﴿ الجللاء ﴾

وفى أواخر أكتوبر باشرت الجنود الاسبانية الجللاء عن المراكز الداخلية طبقاً للخطة التي وضعتها القيادة العليا ، وقد لقي الجيش الاسباني أثناء جلالاته صمودات حمة واحمل الوطنيون السيف فى أقتية الاسبانيين ولم يأت يوم ٢٠ ديسمبر أى يوم انتهاء الجللاء الا وكان الاسبانيون ذاقوا الامرين من المفاربة فتركوا اسلأباً عديدة وقتل وجرح منهم نحو عشرين ألف جندي ، بينهم الجنرال (سيرانو) فقد قتل فى طريقه الى تطوان وجرح الجنرال برانجه وغيره من الضباط والقواد

﴿ المنطقة الدولية ﴾

بعد ان تم جللاء الاسبان عن الريف انسحبوا الى الخط الذي يمتد من تطوان الى البحر المتوسط مسافة ٥٠ كيلو متراً الى الغرب ثم ينحرف جنوباً الى بعد ٣٥ كيلو متراً من البحر الى حدود المنطقة الفرنسية ، وهذه المنطقة التي احتفظ بها الاسبان اليوم لا تزيد مساحتها على سدس مساحة البلاد التي منحوها فى معاهدة سنة ١٩١٢ . فان هذه المعاهدة اطلقت يد اسبانيا فى بلاد واسعة من المغرب الاقصى يمتد من حدود الجزائر الى الاوقيانوس الاثلاثيكي ويبلغ طولها نحو (٢٥٠) كيلو متراً وعرضها نحو (١٠٠) كيلو متر .

على ان الاسبان لم يلبثوا فى المساجم الى الخط الذي قرروا الوقوف عنده حتى قامت قبائل (هجرية) القاطنة وراء هذا الخط فى المنطقة الاسبانية من تطوان الى حدود (طنجة) الدولية

بشوة الثغ الرعب في قعر الاسبان وهددت الجيش كله بشكبة عظيمة دخلت حرب الريف على أثرها في دوو جديد من الوجهتين العسكرية والسياسية . فقد هاجت القبائل الثائرة الاسبانيين واستولت على مراكز كثيرة لهم بين سبتة وطنجة واحتلت مركز (القصر الصغير) ازاء جبل طارق ، وقطعت الطرق بين سبتة ولطوان فاصبحت الحامية الاسبانية في هذه المدينة الاخيرة محصورة تماماً من جهة البر . وصار تخونها مستحيلاً بطريق البحر لأن (بور مرتين) الذي هو ميناء لطوان بات تحت رحمة الريفيين . ثم احرق الثوار (بسوق ملوسة) الواقعة على مقربة من الجسر المتصل بالمنطقة الدولية ، مما اضطر الاسبان لارسال قوة بقيادة الجنرال (ساواي) الى عين الجديدة على حدود المنطقة الدولية وانشاء المخافر حول هذه الحدود لحماية منطقة طنجة الدولية من الخطر ، ولكن هل تثبت اسبانيا في مراكزها الجديدة هذه ؟ وهل ابن عبد الكريم يقف مكتوف اليدين بمد انتصاره الباهر فلا يتعرض لمنطقة طنجة ؟ أم انه سوف يسير اليها ويدخلها كما دخل الترك الاستانة ، فتضطر الدول الى الاعتراف بحكومته ، والى احترام الامر الواقع فلا يكون حينئذ في نظرها حاصياً قاطع طريق ؟ ذلك كله عند علام الثيوب . . .



نصيحة لويدي جورج

«لن يحاربون الريف»

ما زال المستر لويدي جورج الداهية الدماء منذ اعتزاله رئاسة الوزارة البريطانية ينشر فصولاً متممة عن الحالة الراهنة في العالم ، كان لها التأثير المطلوب في مجرى السياسة الدولية ، لأنها تتضمن حكم سيامي عظيم لعب دوراً مهماً في زمن الحرب وبمدها ، وله اطلاع على أسرار في السياسة فلما اتبع لغيره العلم بها

وقد كان الفصل الرابع والمشرون من هذه الفصول الشيقة يدور حول المسألة المراكشية ، فأجبنا قلة لملاقته بالموضوع الذي نحن بصدده

قال الوزير الانكليزي :

يظل الاسبان في مراکش في شقاء وحرَج فهم يسكنون وعول الريف من قرونها ولكنهم لا يستطيعون أن يروضوها ، ولا أن يطلقوا سراحها ؛ بل يرتطمون بقرونها من أن لا آخر ارتطام الثائر الصاحب ، فتدعى جباههم وتذهل أحلامهم ، لأن الجبال تعد الوعول للثائرة بأبدع فرص الدفاع ، وأولئك الثوار الذين يناضلون عن حريتهم مولعون بحيل الجبال ، يستمدون منها الفؤاد والفرص النافعة

لماذا نرى مراکش الافرنسية تنعم بالسكينة النسبية والتقدم بينما نرى مراکش الاسبانية مصدرراً مستمراً للاضطراب وسنة الدماء ؛ وسبب ذلك أن السواد الاعظم من سكان المنطقة الفرنسية يسكنون المروج الخصيبة وبذلك يهون اخضاعهم ، أما المنطقة الاسبانية فهي معترك من المناويز والجبال

ولقد زرت منذ عامين الجزء الذي تدور فيه المعارك الآن وكانت السكينة غنية عليه الا جبهة مليحة حيث كان شعب الريف ثائراً يذود عن حريته ، وكان قد كبّد الجيوش الاسبانية هزائم قاذحة ، وغنم منها مقادير وافرة من الاسلحة والتخاثر والاقوات ، وكان ذلك على أعظم جانب من الأهمية بالنسبة لشعب لم يحكم حتى الآن سوى الاسلحة القديمة ، وأقوات لا تنفي من

جورج

واستطاع الريفيون أن يشتروا كميات كبيرة من الأسلحة المهربة من طريق البحر ومن المنطقة الافرنسية. وان يحصلوا من اسرام على صنوف حديثة من الأسلحة وعلى مقادير طائلة من الاموال كان يقتدي بها الاسبان اسرام من أيدي المتاربة، ففتقرى التناثر بهذه الاموال ثانية ومن ثم يقاتل الريفيون فيهمزون عدوهم ويأمرون، وهكذا سارت الاحوال من ميه الى أسوأ. وقد كان على اسبانيا قبل هذا ان تقاتل شزيمة سيئة الالهة من قطاع الطرق (؟؟) ولكنها وجدت أمامها بعدئذ قوة بديمة النظام شد مزائنها النصر، فانسع الخرق عليها عندئذ واصبح من واجبا ان تستعيد المنطقة الضائعة، ولجأ جيشها المنظم الى مليلة وما حولها من الامكنة المتصلة بالساحل والتي يسهل الدفاع عنها.

يحيل المرء الى ان يمتد بسهولة ان دقة الأسلحة الحديثة تهوق القوة المادية وان الثورة ازاءها لا تمفر عن عواقب جسيمة ولكن حوادث الخسة والمشرين ماما الماضية في جنوب افريقية وفي اولندا ومراكش تدحض تلك النظرية، فقد اضطرت انكلترا ان ترسل في عرض البحار اربعمائة الف مقاتل وان تنفق مائة وخمسين مليوناً من الجنيهات لتخضع مستعمرة صغيرة من الفلاحين في جنوب افريقية (الترنسفال) وبعد ان خاضت غمار تلك المعركة القادحة اضطرت ان تعقد صلحاً اعترفت فيه باستقلال البوير.

فما الذي يحدث الآن في مراكش؟ ان لبيب الثورة يمتد ويندلع، وبينما تظل منطقة مليلة في سكينه مسلحة اذا بمنطقة تطوان تكاد تخرج من أيدي الاسبان.

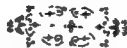
زرت مراكش في فاتحة عام ١٩٢٣، وقد كانت الطرق الموصلة الى تطوان قبل وصولي في خطر شديد بسبب اشتداد المارك التي كانت تدور عندئذ على مقربة منها، وقد كبد انشاء الطريق الحربي وكذلك الخط الحديدي الممتد الى تطوان الاسبان كثيراً من الارواح، وكان المال يعمدون بين صفوف الجند والقلاع، ولم يجد اتفاق الحاكَم مع الريسولي زعيم تلك المنطقة، اذ يظهر انه لاصحح لما يدعيه من ثقة مواطنيه به فان تهوذه قد صار الى الاضمحلال بدليل ان منطقة تطوان تعظم اليوم كلها بنار الثورة والحرب، وان الحكومة الاسبانية قررت ان تفسحب من بعض المراكز التي كانت تتمتع فيها القوات الاسبانية منذ عام، وقد أكدت لي السلطات الاسبانية عندئذ ان السفر الى الداخل حتى شيشوان مأمون العاقبة كسفر طيارة الى غرمانة، أما اليوم فلا يمكن أن يقال ذلك لأن حرب السكين تدور في الطرق وقد صدرت

الاورام الى القوات الاسبانية بأن ترد في اتجاه تطوان .

يجب على الحاكم بأمره الاسباني وحكومته ان يتخذوا قراراً حاسماً في تلك المشكلة عليه شجاعة أكثر من شجاعة السيامي: يجب ان يقرروا الانسحاب من مناطق الثوار كلها والاعطال الحرب ستلبث مدى أعوام ، فإذا اختارت اسبانيا الحرب واستطاعت ان تقدم ما تقتضيه من الرجال والمال فإن النصر في النهاية يبتغي أمراً يحوطه الريب ، بل ان هنالك ريباً في ثبات ماتسفر عنه من النتائج

ولا يرى الانسان في تلك الجهود الباهظة التي تبذل لاختضاع القبائل الجبلية ما يدعوه الى ذرة من الامل ، وطالما اختارت شعوب أخرى وجدت في مثل ذلك المأزق ان تترك مثل تلك المشاريع دون ان تمقد شيئاً من هيتها ، فثلاً كان كثير من قياصرة روما يجمعون من محاربة المشائير الحرية التي تنود على الحدود ويفضلون التمتع بالمناطق الحصينة حتى تسنح فرصة أتم لاختضاع الثوار ، وهذا ما فعله انكلترا بالنسبة لبعض مناطق في حدود الهند الشمالية ، فكثيراً ما تقتسم القبائل الجبلية الحدود بين الافغان والهند ، وكثيراً ما ترسل الحملات القوية لاختضاعها وهذه الحملات التأديبية تكبد الحكومة تعقات طائلة فتعود بوعده منها فقط ، ذلك هو ان لا تعود الى الاغارة ، ولم تعب هيبة انكلترا من جراء ذلك بسوء .

ولقد وجدت اسبانيا في مثل ذلك المأزق من قبل ولم تصب في عزها فقد كان فقدانها لكوبا نعمة للشعب الاسباني استطاعت على أثرها أن تسير في سبيل التقدم ، فإذا قيل اليوم بأن الشرف العسكري في خطر التدهور ذكرنا القائلين بمثل كوبا ، وكلما استمر ارسال الرجال والمال في عرض البحر اشتد الضيق في اسبانيا ، وانى أشك فيما اذا كان حاكم بأمره وأمره تستطيع ان تعيش طويلاً ، وأما الحل الآخر فهو ان اسبانيا تكتمل بتحسين الشاطئ والدود عنه ، وفي هذا ضمان كاف لتجاريتها ولحمايتها وصون شرفها .



الفصل الرابع

فرنسا والريف

أنهاء جلاء الاسبان حدثت مناوشات على الحدود بين الفرنسيين والريفيين ، كان السبب المباشر لوقوعها عدم وجود حدود طبيعية بين المنطقتين ، فان هناك شقة واقعة الى الشمال الشرقي من فاس تسمى (وادي ورغة العليا) لم يقدم أحد على احتلالها حتى الآن ، ولكن الفرنسيون يدعون أنها جزء من البلاد المشمولة بمجايتهم ، قال هذه الشقة أرسل الامير ابن عبد الكريم في شهر ديسمبر ١٩٢٤ قوات من رجاله واعوانه فانضم اليهم رجال القبائل الوطنية واعتصموا كلهم بمواقع منيعة وأخذ رجال الامير يتلقون تمليحاتهم منه رأساً . وقد أحدث ذلك ذعراً وقلقاً في الالاندة الافرنسية ، فعاد المرشال ليوفي المندوب السامي من فرنسا مسرعاً الى المغرب لاتخاذ التدابير الضرورية . وعند سفره صرح لمراسل الصحف أنه يعود الى المغرب في وقت عصيب ليوواجه حالة يلقه مستقبلها قلقاً شديداً

على ان الامير ابن عبد الكريم قد أجاب على تصريحات المندوب الافرنسي بما يلي :

« ان هذه الشقة كانت تحت سيطرة الريف المباشرة لما اقدم الفرنسيون على احتلالها أخيراً ، وسيان هندي اذا كانت اسبانيا تملؤها تابعة لها أو كان الفرنسيون يحسبونها جزءاً من البلاد المشمولة بمجايتهم ما دامت الحكومة الريفية لم تعترف قط بتقسيم المغرب الاقصى الى مناطق مشمولة بمجايات أجنبية مختلفة ، وفي الدنيا امتحان واحد لصحة الملكية وهو الاحتلال الفعلي ، وقد احتلت جنودى هذه المراكز الواقعة على الحدود وبسطت حكومتى سيطرتها على القبائل البازلة فيها »

وقد كادت هذه المشكلة تقضى الى حرب بين فرنسا والريف من ذلك الحين ، ولكن جلاء الاسبان صرف فرنسا عن الاهتمام بمسألة الحدود البسيطة فانخفضت الاحتياطات الدفاعية ، وحلها على التفكير بمصير هذا الجلاء الذي لا تقل خطورته السياسية عن خطورته العسكرية ، لانها - أى فرنسا - أصبحت تخشى هود ابن عبد الكريم في منطقها بعد ان انتشر دعاته في طول البلاد وعرضها وفي الواقع ان فرنسا كانت تستبدل الوقوف مع ابن عبد الكريم هذا الموقف منذ زمن طويل

يدلك على هذا أنها لما أخذت الخمسة ملايين من الفرنكات من البلاد الغامية باسم نفقة جيش الاحتلال ضمت هذا المال الى ميزانية السفقات في المغرب الأقصى وأعلنت أنها رصدته لتهيئة الدفاع فيما لو وقعت حرب بينها وبين الرّبيين في المغرب الأقصى

ولكن الامير المحنك الذي يعرف أسرار السياسة ومنازرها عاد فصرح لمراسل جريدة (الجرنال) الافرنسية بما يزيل مخاوف فرنسا نحو منطقتها كيلا تماكسه في استقلال بلاده وحريةها وإلى القراء ملخص الحديث المذكور لانه يبين بوضوح تام برنامج الامير في سياسته المقبلة .

قال الامير لمراسل : « اني لا أفوم بحرب دينية لطرد المسيحيين من المغرب الأقصى ، وإنما أحارب لاقتاذ الربف من الاحتلال ، ولا أريد الاشتباك في نزاع مع الفرنسيين بل أرغب رغبة عظيمة في الاتفاق معهم وسأبذل جهدي في سبيل الوصول الى هذا الاتفاق . وقد رفضت كل الاقتراحات التي عرضها عليّ الرّعاء المحليون بأن أتولى قيادتهم ليسيروا لمقاتلة الفرنسيين ، وكنت اطلب اليهم التزام السكنينة والمسالمة .

« اننا نريد أن نترك في بلادنا الحرية التامة للمسيحيين في شئونهم الدينية ، والاديان كلها حسنة ولنا ديننا ولكم دينكم . وهذا يكفي للتقام والاتفاق وتبادل الارادة الحسنة .
« ونحن مستعدون لأن نترك الاجانب يدخلون بلادنا اذا استتب لنا الامر في الربف واننا سنرحب بالفرنسيين اذا جاءوا بلادنا للتجارة ولتحسين وسائل العمل عندنا والتعاون
مضا . »

ثم أشار الامير الى خط حدود ورغة المختلف عليه فقال « انه لم يحدد تحديداً صحيحاً ، وانني مستعد لقبّح في هذه المسألة بروح الرغبة العظيمة في الاتفاق »

وذكر الصحافي العلاقات بين الامير ابن عبد الكريم ومولاي يوسف سلطان المغرب الأقصى فلاحظ ان ابن عبد الكريم الذي ارادت قبائل اسلامية عديدة اطلاق لقب السلطان عليه قد أبى أن يقبل ذلك لقب وقبل لقب أمير فقط . وقد سأله الصحافي هل يأبى الاعتراف بالسلطان يوسف ، وهذا ما لا يسع غرائسا الا أن تطلبه منه ؟ فقال الامير : « لماذا لا ؟ ان الفرنسيين يستطيعون إيجاد صيغة يمكن قبولها للاتفاق في هذا الصدد . . . »

ولكن هذه التعصبات كلها لم تكن تهيد قليلا ولا كثيرا ، لان فرنسا كان يكفي عندها لضرورة خوض غمرات الحرب أن ترى جمهورية مغربية قوية مجاورة للجزائر في الغرب ولمراكش في الشمال . فأخذ المرشال ليوتي يمتد قواته على الحدود ، ويقوم المخافر الامامية تجاه المواقع التي سبق رجال ابن عبد الكريم الى احتلالها وعقب عيد الفطر سنة ١٣٤٣ (أواخر ابريل ١٩٢٥) جعلت شركة هافس البرقية وبعض صحف باريس يهدان السيليل لافهام الرأي العام الفرنسي ضرورة الحرب مع ابن عبد الكريم لسببه الى احتلال أما كن لم يسبق لفرنسا ولا لاسبانيا احتلالها ولم تخف على ابن عبد الكريم الخطة التي رسمها المرشال ليوتي بالاتفاق مع وزارة الحربية الفرنسية فأعد للامرعدته ، واتخذ لكل شيء أهنته



الحرب

بين الريف وفرنسا

ان التاريخ لا يمكن أن يكتب في زمن وقوع حوادثه ، ولا سيما تاريخ الحوادث الحربية ، لان تدوينه يحتاج الى أمرين أساسيين : الاول استقصاء الاخبار والمستندات من جميع المصادر لا من مصدر واحد . والثاني التجرد عن الهوى في اذاعة الخبر وفي تدوينه . وحوادث الحرب بين الامير ابن عبد الكريم وفرنسا لا مصدر لها غير دواوين الاستخبارات الفرنسية في رباط القنص وسائر البلاد المراكشية ، وفي وزارة الحربية بباريس نفسها . ومع ذلك فانا لا نفي لنا عن إيراد الاخبار الواردة من المصادر الفرنسية . لانها تدل على جملة الحال ولو من بعض الوجوه

وان كتابنا هذا ينتشر بين أيدي قرائه بعد مرور شهرين على الحرب بين ابن عبد الكريم وفرنسا . وقد حدث في هذين الشهرين خمس معارك كبرى كما نرى فيما يلي نقلا عن المصادر الفرنسية :

- ١ -

﴿ من أول مايو سنة ١٩٢٥ - الى ١٢ منه ﴾

١ مايو - دخلت القوات للمغربية المنطقة الفرنسية شمالى ورغة
 ٣ منه - ان اللقاع الى دخلها المغاربة من المنطقة الفرنسية محرومة من وسائل الدفوع ،
 مساحتها عشرة كيلو مترات بين الحدود والمخافر الامامية الفرنسية
 يحاول الريفيون اثارة القبائل المجاورة للحدود على الفرنسيين
 المرشال ليوتي موقن بأنه يستطيع مواجهة الحال بما لديه من القوات
 ٤ منه - ان سرعة تنظيم الجنود الفرنسية حالت دون تقدم المغاربة . وقبل أن تم هذه التدابير
 وقع هجوم اضطر الفرنسيون في خلاله الى أن يدافعوا دفاع الابطال . وفوجئت فصيلة من
 فصائل الهندسة وهى في اثنائها بهجوم الريفيين عليها ، فاضطرت في أثناء العودة الى أن
 تتعح طريقا لها بالسلاح الابيض

٥ منه - ان المرشال ليوتي قابض على ناصية الحال ! وان الريفيين اخترقوا حدود المنطقة
 الفرنسية ، وحلوا قبائل بنى زروال في وادي ورغة الاحلى وفي القسم الشمالى من منطقة (تازة)
 على السبر معهم ، ثم أحرقوا بعض المراكز الفرنسية الامامية . وكان المرشال ليوتي قد حدد
 هناك جنوداً من قبيل الاحتياط . فألقت هذه الجنود ثلاث كتائب ، ثم قامت بتموين المراكز
 الفرنسية المحصورة وصدت الريفيين عنها

جاء المرشال ليوتي من فاس الى ميدان الحرب فنولى تنظيم الاحمال العسكرية بنفسه . والظاهر
 أن ابن عبد الكريم أعد لهذا الهجوم نحو عشرين الف مقاتل
 قررت الحكومة الفرنسية ارسال المدد الى المغرب الاقصى ، ومعظمه من جنود الهندسة
 والطيارين والهيئات الطبية

يقود المرشال ليوتي الاكن ستين ألفا يمكن استخدام ثلثهم في محاربة الريفيين
 ٦ منه - ان الكتيبة الفرنسية التى تحارب في القلب ابعدت الريفيين عن مرتفعات (تاوانات)
 وصدت كرات شديدة كرها الريفيون الذين تتألف قواتهم من جنود نظاميين نشد أزهرهم
 قبائل محلية

٧ منه - نقلت الطيارات الفرنسية الماء بشكل الواح جليد الى الخافر الاربعة او الخمسة

المحصرة في جهات يبيان

ان الاخبار المنبهة بفوز الكولونيل فريدنبرغ لم تقلل شيئاً كثيراً من المخاوف المتزايدة الناشئة عن احتمال وقوع حرب كبيرة ، فان الجنرال كولومبات لما وصل الى جهات يبيان وجد نفسه أمام قوة من الرضين محصنة تحصينا تاماً في خطوط متوالية من الخنادق تحميها نار مدفعية مسددة بنارية القنق والاحكام ، وكانت أمثال هذه الاعمال مجهولة في المغرب الاعصى في الماضي

٨ منه - قالت الماتان : ان الرضين مسلحون بمعدات حربية حديثة ، منها مدافع رشاشة وخشون مدافعاً كبيراً ، وبضع دبابات ، وست طيارات . ويظهر أن الامير ابن عبد الكريم كان يرمى بهذه الحركة الى قطع السكة الحديدية بين (تازة) و (فاس) ، ولكن حملات الفرنسيين الشديدة بقيادة الجنرال كولومبات والكولونيل فريدنبرغ والكولونيل كباي أوقفت تقدم الرضين . ومتى وصلت النجندات المرسلة من الجزائر سيبدأ صد الرضين على طول الخط يقوم كثير من دعاة الرضين بيت دعايتهم في جهة (تافيلت)

تري الدوائر الفرنسية العليا ان خطر الريف على المنطقة الفرنسية في مراكن عظيم الى حد يجعلها على مواصلة الحملة بجميع الاساليب العسكرية والسياسية والاقتصادية الى ان يفشل ابن عبد الكريم فعلاً تاماً . . . ولا يمكن التقييم بمثل هذه الحملة الا بتعاون عسكري مع اسبانيا . ويقال ان المسيو بريان وزير الخارجية الفرنسية ارسل تلميذات الى السفير الفرنسي في (لندن) ليحدث وزير الخارجية البريطانية رغبة في وقوف بريطانيا موقف المطف تجاه أي اتفاق يعقد بين فرنسا واسبانيا في مراكن ، وسيعرض سفير فرنسا على انكثرا تمضيد فرنسا للمطالب البريطانية في (الموصل) . وبلغ الامر بوزارة الخارجية الفرنسية أنها تفكر في أن تعرض على بريطانيا احداث تعديل في الحكومة الفرنسية الحالية . ويعلق أصحاب المصارف اهمية عظيمة على مراكن لان لهم مصالح حيوية في تلك المستعمرة الفنية .

٩ منه - قال المسيو بلفه « لا تزال خافر كثيرة محصورة تمون واسطة الطيارات . ولا يمكن ان نتظر عملاً عليها قبل وصول النجندات المختلفة من جميع الاملعة الى طلبها المرشال ليوني وبعد ما يتم الحشد الجاري الاك تضرب الضربة القاصلة بجميع الوسائل التي تتطلبها الحالة . واتنا نعمل على اتفاق تام مع الحكومتين البريطانية والاسبانية .

قالت الموردين پوست : لم يبق دليل على ان وراء القتال الناشب الاك بين المغاربة والاوربيين في الشمال الغربي من افريقية املا دينيا ، ولكن روح الغطرسة القومية هو الذي يحتدم في صدر عبد الكريم ، وهو مظهر ، وصف من مظاهر مبدأ « تقرير المصير » الذي وصفه معتر لانسنغ خير وصف اذ قال « ان تقرير المصير عبارة عن صخرة بالديناميت » . وقد لقيت فرنسا الشر نفسه في تونس ، ولقيت انكثرا أخطاره في وادي النيل . فاذا استطاع عبد الكريم ان يواصل العمل بنشر دعايته الخطرة ولم يوضع لها حد فان النار تضرط في افريقية الشمالية كلها في أقرب وقت

١٠ منه - يسافر الجنرال نياسل - المفوض العام لعميران العسكري الى المغرب الاقصى - لقيام بمهمة اقتضاها توسيع نطاق الاعمال الحربية الجوية .

احتشدت قوات كبيرة من الربيين ، واحتلوا مواقع كانت محصنة تماما ، واتخذ الجنرال شاهبرون جميع التدابير العسكرية والسياسية لمواجهة الحال .

ألقت في (طولون) فصائل من المتطوعين لحرب المغرب الاقصى

١١ منه - بحث المسيو بنلفه مع المسيو اسولا سكرتير وزارة الحربية ومع المرشال بتيان والجنرال ديبيني في شئون عسكرية مختلفة .

اوسلت نجندات الى المغرب الاقصى

يظهر ان ابن عبد الكريم أرسل أخاه في شيهوان الى المنطقة الاسبانية لتجنيد رجال قبيلة بجالة .

١٢ منه - وقفت الاعمال العسكرية وقفا وقتيا في انتظار وصول النجندات والمعدات الكبيرة المرسلة من الجزائر وفرنسا .

أصبح من المؤكد أن سبع طيارات لدى الامير ابن عبد الكريم ليست من الشنائم التي غنمها من الاسبانيين ، بل اشترت من انكلترا رأسا . وكثر التحدث في المقامات السياسية الفرنسية حول ما أذاعت جريدة (ستار) الانكليزية عن محاولة رجل ابن عبد الكريم شراء معدات حربية في انكلترا . ٣

سافرت فصيلة سننالية من بلاد الريف الى المغرب الاقصى

— ٢ —

من ١٣ مايو — الى ٢٠ منه

١٣ منه — تلقى المرشال ليوتي قسما من النجدة ، فبدأ بحركات القمع لاقاذا المخافر الامامية التي لاتزال محصورة .

بدأت قوات فرنسوية معززة بالمدافع والطائرات القتال في الصباح لاقاذا اكة بيان ، وقدمت في احوال ملائمة حيث تحصن الريفيون بخنادق أنشئت طبقاً لقن الحديث

١٤ منه — انزعت القوات الفرنسوية المواقع المنيعة التي كان يشغلها الريفيون في سلسلة جبال بيان بعد مقاومة عنيفة ، وانسحب الريفيون شمالا وهم يقاثلون . ولما انتصف النهار كان الريفيون يتقهقرون وهم يقاثلون في كل مكان . وقد اقتذال فرنسيون عدة مخافر بروس الحراب

وصل الى المنرب الاقصى الجنرال نيامل المفتش العام لطيران العسكري

١٥ منه — أزلت الطائرات للفرنسوية خسائر فادحة بالريفيين باستعمالها قنابل كبيرة من طراز جديد صنعت في زمن الحرب ولم تستعمل فيها لان الهدنة عقدت في ذلك الحين

ان نجدة كبيرة مأخوذة من جميع الحاميات العسكرية في فرنسا استسافر قريباً الى المنرب الاقصى مصحوبة بعدد من الطائرات التي تنقل الجرحى

تمكن الفرنسيون من عمون عدة مخافر

توفي المالجور مازبرج — الطيار المشهور — متأثراً بالجراح التي اصابته

تحمل جريدة (الاومانيتيه) حلات شديدة على الاعمال العسكرية الفرنسية في المنرب وقد دعت الى اجتماع بعقد غداً في لوز بارك بباريس للمطالبة بالجلاء عن المنرب حالا .

١٦ منه — أوقفت قوة الكولونيل فريدنبرغ في الوسط هجوماً جديداً شديداً أمام مراكها .

١٧ منه — اقتذت قوات الكولونيل فريدنبرغ مخفر بولوهنت بعد معركة شديدة استعمل الريفيون فيها مدغمين لكدهم لم يكونوا يحسنون الرماية

يزداد النشاط في بث الدعاية الريفية في ساحة (برانس) وساحة (مناس)

١٨ منه — ان المشاة الريفيين مسلحون ببنادق سريعة من طراز ماوزر ، ومعداتهم رشاشة ،

ومعدات حربية حديثة ، وبعدد ثقلون لأقامة المواصلات بينكم في ميدان القتال. وهم مدربون تدريباً حسناً ويجيدون استعمال التحصينات في ساحات القتال ، ويستخدمون الخنادق في الدفاع بمادة عظيمة ، ولكنكم لا يحسنون استعمال المدافع الكبيرة ولا اخفائها عن نظر العدو ؛ لذلك يضطرون الى الانقطاع عن اطلاق تلك المدافع عند ظهور الطيارات الفرنسية صاحبة التسلط في جو ميدان القتال لان طيارات الريفيين لم تظهر واحدة منها حتى الآن

١٩ منه — ان قوات الريفيين المحشودة في ششوان يراد توجيهها للقيام بهجمتين في وقت واحد : الاولى على الاسبانيين في (تطوان) ، والثانية على الفرنسيين في (وزان) حيث استمال ابن عبد الكريم القبائل المجاورة

٢٠ منه — وصلت نجيدات فرنسية جديدة الى المغرب الانص

لايزل الريفيون يواصلون بهمة عظيمة تسليح القوات وحشدتها . ويقال ان ابن عبد الكريم أعلن التنبئة العامة في كل بلاد الريف وجباله

تمكنت قوات الجنرال كولوميات — التي كانت تزيد المدفعية والطيارات تأييداً عظيماً — من الوصول الى بيبان وتكوين المخافر بمد قتال بالمر . وقد اضطرت الى صد قوات كثيرة من الريفيين وانتزاع الارض منها شبراً شبراً والاشتباك معاً بالسلح الابيض في خنادق مغطاة وعظمية عن الانظار والقتال في غابات وعرة محصنة تحصينا حسناً يدافع عنها رجال يستسلمون في قتالهم .

— ٣ —

﴿ من ٢١ مايو — الى ٦ يونيو ﴾

٢١ مايو — أعلن رئيس اركان حرب المرشال ليوتي وصول نجيدات كافية تمكن الفرنسيين الآن من اتخاذ خطة الهجوم.

يؤكدون ان الريفيين يحشدون في الساحة للفرنسية قوات كبيرة أمام الخطوط الفرنسية .

٢٢ منه — استؤثفت الاعمال العسكرية الفرنسية بشدة ، فان قوات كبيرة محشودة في جهة عين حافة بقيادة الجنرال دي شامبرون شرعت في حمل قوي لمسد كتائب الريفيين التي طادت قدخلت الحدود وأحدثت مرة أخرى بالمخافر الفرنسية الالمامية .

قرر مجلس الوزراء الفرنسي أن يطلب إلى مجلس النواب والشيوخ اعتيادات إضافية لاجل الأعمال الحربية في المغرب الأقصى .

قام الجنرال : برون بمحاربة حربية تمكن فيها من اقتاذ مركز الورقة الأعلى بالرغم من الهجمات المتتيفة التي هجمها الرينيون بقوات كبيرة أوا بها على جناح السرعة ، وبالرغم من المقاومة الشديدة التي أبدتها قوات أخرى في مراكز حصنة تحصيناً تاماً . وقد اشتركت المدافع والطائرات في تسهيل تقدم الفرنسيين ، فخرجت الطائرات ثلاثين مرة وقذفت خمسمائة قنبلة .

٢٣ منه - وردت الأنباء بقيام الربيين بمركات عظيمة في الشمال وإن ابن عبدالكريم بعيد الآن حشد قواته .

٢٤ منه - عين الجنرال دوجان قائداً تاماً في ميدان الريف من حدود الجزائر إلى الاطلانطيك ومعه الجنرال بيليوت والجنرال شابرون مساعدين له .

لا يزال الرينيون يحدون قواتهم في منطقة كيفان وجهات مولاي علي وأطالي دما كوم .
٢٥ منه - انسحب الفرنسيون من ستة مخافر واقعة في جهات تاونات ومولاي علي لصعوبة تموينها ولأنها كانت عرضة للحصار اليومي . وقد تم الجلاء عنها لتكون الفصائل المكافئة تموينها أكثر حرية في حملها .

تلقت قوات الكولونيل كولومبات التعجيدات في كيفان .

هاجمت قبائل جباله الاسبانيين في جهات (تاهانوف) .

يلاحظ بعض الصحف الفرنسية أن ابن عبدالكريم يميل الآن إلى تحويل مجهوداته إلى جهة (الجزائر) .

٢٦ منه - لا يزال الرينيون يبدون نشاطاً عظيماً . وقد وصل ٣٠٠ فارس من قواتهم إلى (سقا) والمخافر الفرنسية معرضة دائماً لرصاص الربيين الذين يواصلون التشديد على القرى الشرقية والغربية من مخافر الفرنسيين .

٢٨ منه - رفض رئيس الوزارة الفرنسية أن يصرح لمجلس النواب بعدد الجنود الذين أرسلوا إلى المغرب الأقصى . وقال إن خسارة الفرنسيين ٤٠٠ قتيل و ٣٠٠ مفقوداً و ١١٠٠ جريح .

٢٩ منه - طلبت الحكومة الفرنسية من مجلس النواب اعتياداً بمبلغ ٣٢ مليون فرنك يكون أول دفعة لحساب الحرب في المغرب الأقصى .

٣٠ منه - أعلن مسيو ملى في مجلس النواب أن فرنسا واسبانيا ترغبان في عقد السلم. وأن ابن عبد الكريم لم يعرض على فرنسا شيئاً ما بهذا الشأن ولم يرد على الاقتراحات التي قدمتها له الحكومة الاسبانية.

استكشف في الدار البيضاء مركز للدعاية القومية. وقبض على ثلاثة أشخاص وصودرت مقادير من النشرات العربية لتعريض الوطنيين على الثورة.

٣١ منه - ويظهر أن بعض الريفيين ذهبوا الى ميجورغ لشراء السلاح.
٥ يونيو - قامت الجنود الاسبانية بممارك شديدة. أوقت حركة قوات ريفية عديدة كانت على أهبة القيام بحركة التقاف على الفرنسيين في اتجاه (وزان).
تؤكد الصحف الفرنسية أن قوات ابن عبد الكريم النظامية تبلغ ٢٥ ألفاً تضاف اليها القوات المحشودة من رجال القبائل وتبلغ ٥٠ ألفاً.

- ٤ -

من ٦ يونيو - الى ٢٦ منه

٦ منه - جلا الفرنسيون عن مخفري (سكير) و (استير) بعد ما نسفوا الاستحكامات والذخيرة وقد هاجم الريفيون فميلة فرنسية موكلة بصيانة الامن في الجناح الايسر. ودارت معارك حامية بعد الظهر في الجناح الآخر.

٨ منه - انسحبت الجنود الفرنسية من مواقع مختلفة في جهات طاولات، بعد تدمير عدد من المراكز التي كانت تقطاً للاتصال بين الفرنسيين والقبائل المحلية المنضمة الى الريفيين.
وردت الانباء بتجمهر الريفيين شمال بني دركوب، وجبال مازيان، ومعهم المدافع والرشاشات.

٩ منه - لازال غارات الريفيين على مركز لوكوس متواصلة. وقد تمهقتم الحفائر الفرنسية الامامية في بعض المواضع بنظام حسن، وبذلك الريفيون جهوداً لاختراق الخطوط الفرنسية على منفة الوردغة الجنوبية فلم يتم لهم ذلك.

سافر المسيو بنلقه (رئيس الوزارة) في الساعة الخامسة مساء الى طولون ومعه المسيو لوران ايناك والجنرال جاكيمو، ثم ركبوا منها طائرة في الساعة السادسة صباحاً الى المغرب الافصى

لحادثة المارشال ليوتي شخصياً عن الحالة الحربية ويزورون ساحة القتال
 ١٠ منه — اخترق الريطيون خط الدفاع الفرنسي في أماكن عديدة من وادي ناس ،
 فقررت القيادة الفرنسية قتل الأهل غير المحاربين من وزان جنوباً على سبيل الاحتياط
 وصل المسيو بنلقه والمسبولوران إيتاك الى رباط الفتح بطيارة وتحادثا ملياً مع المارشال ليوتي
 ١١ منه — حظي المسيو بنلقه بمقابلة سلطان المغرب الأقصى .
 ازداد تشدد الريطيين قليلاً حول المراكز الإسبانية في الساحتين الغربية والشرقية .
 ستوبد بريطانيا العظمى التدابير التي تنويها فرنسا وإسبانيا لحصر سواحل الريف عملاً بماهدة
 الجزيرة

١٢ منه — ظل المسيو بنلقه والمارشال ليوتي مجتمعين الى ساعة متأخرة من الليل ودرسوا الحالة
 ١٣ منه — ذهب المسيو بنلقه صباحاً لزيارة القوات المربطة في مازة وجوارها، مصحوباً بالمارشال
 ليوتي والجنرال جاكرو والجنرال دوجان . وزار ميدان القتال في الورغة والمخافر الامامية وبحس
 مطولاً مع القواد

عقد الخبراء البحريون الفرنسيون والإسبانيون نهاراً مع اجتماعهم الاول
 ١٤ منه — ركب المسيو بنلقه طيارة في الساعة الخامسة طائداً الى فرنسا . وقبل سفره أعلن أن في
 النية ارسال دبابات وتميز سلاح الجو ، واعترف بأن الريطيين متصفون بالصفات الحربية ، وأن
 جنودهم والجليبين على استعداد لكل نوع من القتال ، ولكن ليس لديهم سوى عدد قليل
 من المدافع الرشاشات

١٦ منه — بدأت نساقتان فرنسيتان تتجولان من اليوم في مياه سواحل المغرب مع السفن
 الحربية الإسبانية

احتبست الجيوش الفرنسية في منطقة وزان سلسلة اعمال قام بها الريطيون في الايام الاخيرة
 بواصل الريطيون شرقي وزان القيام بحركات نصيبها الحبوط وجددوا هجومهم في القلب
 على طاونات . على أن القوات الفرنسية هي صاحبة الكفة الراجعة على ما يظهر
 ١٧ منه — هاجم الثوار في اثناء الليل عدداً من المخافر الإسبانية المختلفة في ضواحي ريدال .
 قال الامير محمد بن عبد الكريم لمراسل التيمس انه مستعد لان يصعد بالنصائح الموجهة اليه
 بشأن عقد الصلح مع فرنسا ، بشرط أن تقدم له قاعدة معقولة للمفاوضة . قال « ونحن نريد
 الاحتفاظ باستقلالنا . ولا نحجم في سبيل الوصول الى ذلك عن تضحية كل ما هو عزيز لدينا »

- ١٨ منه - هجم الريفيون هجوماً شديداً على مواقع الفرنسيين الامامية في جهات (تروال) و (هويشة) الواقعة على بعد ستة كيلو مترات الى الشمال ولكن حملاته كلها صدت .
- ٢٢ - منه وقع المندوبون الفرنسيون والاسبانيون اتفاقاً يقضى بأن تتعاون بواجب الامتين على مراقبة شواطئ المغرب الأقصى البحرية . وستحتفظ كل قيادة باستقلالها ، وتكون المراقبة موجهة الى منع اشتراء الاسلحة والمعدات الحربية .
- ٢٣ منه - يقدر مراحل الطان في فاس القوات التي يستطيع الامير ابن عبد الكريم أن يعمل عليها في القتال في الجبهة الفرنسية بمائة واثنتين وثلاثين ألف رجل من رجال القتال عداسنة آلاف من النظاميين
- ٢٤ منه - قامت كتيبتان اسبانيتان في قسم (سبته) و (تطوان) بمناورة هجومية نحو (زادينة) لمنع احتشاد الريفيين .
- ٢٥ منه - أذيع منشور بتوقيع مولاي يوسف سلطان مراكش ضد الامير ابن عبد الكريم وصدر الامر بتلاوته في المساجد . وسافر السلطان صباح اليوم لزيارة قبيلة شراغة واستبدل الزعماء الذين لم يظهروا سلطة كافية لتوقيف مساعي رسل ابن عبد الكريم الذي تنشر دعايته بنشاط بين قبائل ستول وبرانس .
- يظهر أن خطة الزعماء الريفيين ترمي الى الزحف نحو الشرق لبلوغ الجهات الواقعة أمام (فاس) بطريق (وادي الابن) . وقد بلغ الفرنسيون في غزواتهم طريق تازة وفاس .
- خادرت البعثة النيابية الفرنسية مدينة فاس أمس . ولما قابل أعضاؤها مولاي يوسف مستأذنين في السفر قال لهم « تذكروا ما فعل أبناؤنا لاجل فرنسا في زمن الحرب العظمى . وقدموا لنا الوسائل التي تمكننا من الدفاع . . . »

- ٥ -

من ٢٦ يونيو - الى ٢٠ يوليو

- ٢٦ منه - قام الامير ابن عبد الكريم بهجوم عام لقطع المواصلات بين (فاس) و (تازة)
- ٢٧ منه - صد الفرنسيون حمة حملها عليهم خمسة آلاف رجل من رجال القبائل المحلية المنقلبة على الفرنسيين ، تساعدها بعض القصائل الريفية . وكان معظم القوات الريفية مرابطاً

في مكان معين على تمام الاهبة والاستعداد للاشتراك في المعركة اذا نجح هجوم رجال القبائل .
جاء في بلاغ أن الريفيين الذين اعتد ساعدتهم بتجندات عظيمة ضاعفوا ضعفهم على التهر
الكبير ، ولكن الجنود الفرنسيون ثبتت بمساعدة الطيارات تجاه هذا الهجوم .

٢٨ منه - لم تذكر أنباء فاس خبر هجوم ريفي عام ، بل تقول ان الفرنسيين احيطوا
هجوماً شديداً هجمه الثوار في منطقة (تازة) والحقوا بهم خسارة عظيمة . والذين حاولوا
اختراق منطقة الفرنسيين من جنود الريف ارجعوا القهقري . وألقت الطيارات الفرنسية
القنابل على مواقع الثوار .

٢٩ منه - اشترك رجال القبائل الباقية على ولائها لسلطان المغرب في صد الهجوم الذي قام به
الريفيون على خط تازة وفاس وكانت تساعد القبائل الموالية للسيارات المسلحة والطيارات الفرنسية
وكانت زيارة سلطان المغرب لخط القتال باعثاً على إثارة الحمم في نفوس فصائل الوطنيين الذين
يقاثلون دغماً عن فرائم .

٣٠ منه - صدقنا الريفيين وهم يحاولون التقدم في جنوب الوادي الكبير بشرق . ولا تزال
المعركة ناشبة .

يقدر مكاتب (الماتان) من فاس خسارة الريفيين بألف قتيل وثلاثة آلاف جريح في الهجوم
الاخير الذي توخوا منه الضربة القاصمة بلا جدال من دون أن يقدروا عظم الخطر الذي
يستهدفون له من جراء مثل هذا العمل .

حادث لجنة التحقيق لنيابيه من المغرب الأقصى الى مرسيليا . وصرح رئيسها بأن الحالة كانت
حرجية ، وما زالت خطيرة . ومن الضروري القيام بهجوم عاجل لا تقاوم فرائسا وتقوذهابا بين
القبائل . وسيكون من المستحيل القيام بحركات عسكرية بعد الامطار التي تقع في اكتوبر .

سافر الميسورماتي الى مجريط ، بعد ان تداول مع الميسور بنلقه والميسور بوان أمس مساء
أول يوليو - جاء في بلاغ أن الريفيين يعززون هجومهم على الفرنسيين في دائرة واسعة
لنطاق في القلب والفرق . وقد اجتاحتها الخطوط الفرنسية في أماكن كثيرة . ونشطت
الطيارات الفرنسية نشاطاً عظيماً وقذفت القنابل على المنطقة التي يقود الجنود فيها شقيق ابن
عبد الكريم في بوادان

٢ منه - جاء في بلاغ أن نار المدفعية والمشاة صدت ثلاث حملات متوالية جعلها الريفيون

على مصكر القوات النقلة (في وادي الين) الاعلى . وحمل الريفيون حملات شديدة في الشرق في جهات وادي (أسمون) فصدتها الفرنسويون واحتفظوا بمواقعهم لا يزال ضغط الريفيين شديداً على طول خط القتال ويقتظر أن يقع هجوم عظيم في أقرب آن أعلن رئيس الوزارة الفرنسية وفي مجلس الشيوخ أنه وقع تحرش حقيقي بفرنسا واننا لانحجم عن شيء لصد المعتدي وتوطيد السلم اللائق بفرنسا . وسنمقد الصلح حيناً يمكن ذلك ولكن دون أن تمس حقوقنا بسوء . وختم كلامه قائلاً « تريد فرنسا أن تساعد على المصالحة والوثام بين الشعوب الاوربية لكي تتمكن أوروبا من الثبات أمام الحملة التي قد توجه اليها ... »

وتلاه المسيو بريان فدحض التهم القائلة بأن فرنسا تريد أن تعتدي على استقلال الريفيين وتمنع المؤن على أنواعها عنهم ، وأشار الى أن فرنسا كانت على سلات حسنة بهم على الدوام ، وستحاول افهامهم أن خطتها هذه لم تتغير معهم . وأن فرنسا مستعدة لقبول كل اقتراح يرمي الى السلم

٤ منه - هجم الريفيون يومي ٢ و ٣ يوليو غربي كيفان ووجهتهم بنو قاسم ، ولكنهم صدوا بعد معركة شديدة

قدم النواب الذين مادوا من المغرب الاقصى تقريرهم الى لجنة الجيش ، وقد اظهروا فيه ضرورة القيام بعمل سريع حاسم ، وابقاء المارشال ليوتي في منصبه فان مكاته العظيمة تمكنه من القيام بعمل سيامي كبير التأثير لدى أهل المغرب ، ولكن يجب أن يعين قائد عسكري يتولى ادارة الاعمال الحربية . واقترح هؤلاء النواب تعيين الجنرال ويثند لهذا الغرض . وشاع أن المارشال ليوتي يصل الى باريس قريباً لمباحثة رئيس الوزارة

في ٦ منه - يقول مراسل (الديلي ميل) في باريس : تنتظر دوائر باريس الى الحالة في مراكز بعين القلق الشديد . فقد كان الفرنسويون يستخدمون حتى الاك قوا كبرة من المشاوية المسلحين لحراسة خطوط المواصلات والمحافظة على بقاء خط القتال متصلاً من الغرب الى الشرق وقد انضمت هذه القوات الى صفوف الامير ابن عبد الكريم . وانتشرت روح الفرد بين الجنود المغاربة في (فنتاله) و (غيائة) و (تسول) وغيرها ، وانضم جانب من هذه الجنود فعلاً الى ابن عبد الكريم ، وينتظر الباقون فرصة مناسبة ، وسار من التحقق الآن أن مستقبل النفوذ الفرنسي والاوروبي بشمال افريقية في خطر ، وان مصر فاس وسائر البلاد معلق في كفة

ميزان القضاء . وتعرف الدوائر الفرنسية علنا بأن ناصية الحال في قبضة الامير ابن عبد الكريم
لا في يد القوات الفرنسية .

قال رئيس الوزارة الفرنسية : ان امتداد خط القتال على طول ثلاثمائة كيلومتر يجعل من
الصعب المحافظة على بعض المخافر المنفردة لحماية القبائل وذلك لأن حالة المواصلات لا تسمح بحشد
التجندات سريعاً في الاماكن المهددة كما كان يجري في الحرب العظمى . ثم ان الخطة العسكرية لحشد
القوات هيئة لقيام بعمل حاسم قضت بأن تترك وقتياً القبائل التي يدفعها الريفيون الى الانشقاق
بوسائل الضغط والارهاب . وليس من المدهش أن تأتي الانباء بوصول الريفيين الى جهات
وبانسحاب الجنود الفرنسية انسحاباً جزئياً قضى به جمع القوات . ولكن رغم ذلك التقدم وما
يترتب عليه انفصال القبائل يجب ان يعلم الجميع ان المدينة (فاس) في مأمن لانحنى خطراً من رجال
ابن عبد الكريم

صرح الميسوماثي لندوب (الجورنال) في جريط بأن الاتفاق بين فرنسا واسبانيا أصبح
امراً تاماً ، وانه سواء في المفاوضات في الصلح أو في مواصلة الحرب ستعمل الدولتان بالاتفاق على
مقاومة الخطر مع احتفاظهما بالاستقلال في تنفيذ العمل .

تلقت الوزارة الفرنسية أمس نص الاتفاق الفرنسي الاسباني المشتمل على شروط الصلح
والمراد عرض الصلح علناً لاعرض اقتراحات شبه رسمية بواسطة وسيط لاجل مفاوضات سرية .
ويقال انهم سيضمنون لابن عبد الكريم وأهل الريف حريتهم التامة في الشؤون الزراعية والاقتصادية
والادارية ، تحت سيادة سلطان المغرب الأقصى الاسباني ، وفي دائرة الحدود التي تعين لريف .
ويحتمل ان تكون هذه الحدود من جهة الفرنسيين تابعة لجري نهر ورغة . وقد يطلب من
الامير ابن عبد الكريم التسليم في بعض المطالب العسكرية الخاصة بالسلاح ولكن لا يطلب منه
تسليم كل معداته الحربية وخصوصاً ألف بندقية للمريمة الطلقات الموجودة لديه الآن . وهذه
الشروط مع اعتدالها (!) لا تطابق مطالب عبد الكريم التي جاء بها منذ حين قريب رسول
اسباني بعد ما بحث زعيم الريف .

عين الجنرال نولان - قائد الفيلق الثلاثين - قائداً عاماً في المغرب الأقصى . وقد أمضى معظم
حياته العسكرية في أفريقية الشمالية وسورية . وقد عرض هذا المنصب أولاً على الجنرال
كبوما فرفضه

فشل الريفيون في حلتهم القديدة على مجموع مرا كز القوة السيارة في أعلى نهر الين واصيبوا بحسرة عظيمة بعد معركة شديدة

صعدنا الريفيين في يوم ٥ الى ٦ يوليو بعد معركة شديدة . وكانوا يهاجمون قواتنا السيارة في باب (نازة) . وصعدنا حملاتهم في ليل ٥ يوليو على جميع المرا كز الفرنسية بجوار عين متوف في أعلى نهر الين

فادر النساء والاطفال (نازة) على سبيل الاحتياط ! بالنظر الى تسلل الريفيين الاخير صدر بلاغ من وزارة الحربية الفرنسية أشار الى « أنباء السوء التي تنشر عن الحوادث الحربية الأخيرة التي وقعت في جبهة (نازة) في شرق المغرب الأقصى » وقال « ان بعض القبائل الموالية لنا تخلى عنا قدم منها ، ففتحت بذلك ثغرة في خطنا الامامي دخل منها الريفيون ، وهاجموا جنودنا النظاميين الذين أخذوا الآن في الاستيلاء على خبر المواقع لطردهم فيجب على الرأي العام والحالة هذه أن لا ينجزع لحوادث لا بد منها في حرب استعمارية »

وأشار البلاغ الى الصعاب التي يعانيها الفرنسيون بسبب تحسن حالة جيش الريف من حيث العدد والمهارة العسكرية اذ اقيمت منذ عشر سنوات « فقد أصبحت هجماته أكثر هدفاً وأحسن تنسيقاً وفي ساحة أوسع نطاقاً . وهو يغمر المناور ويبني الخنادق ويقم الاصلاح للشائكة ، فاذا كان من خطط الجيوش الحديثة المفاجأة بضربة حاسمة فان الافراط في التوسل بهذه الخطة ينشأ عنه استياء القبائل الموالية ، وتسلل الى خطوطنا قوات العدو . فطينا اذن أن لا ندهش ولا ننجزع اذا صادفنا صعوبات في ميدان مترامي الاطراف ، وأدت بنا الى التقهقر في بعض المواضع لاجل اعادة تأليف قواتنا وحدها ، فان هذا التقهقر يعد الطرق لكرات أشد وأقوى »

جاء في برقية من طنجة أن قوات البوليس الدولي طلبت امداداً قوامها سبعة آلاف مقاتل خافة الاغارة على المنطقة الدولية

في ٧ منه . جاء في بلاغ اسباني أنه في أنباء حركات البوليس و امداد بعض النقط في خط الاسبانيين تكبد الريفيون خسائر فادحة وتروكو مشرقة قتلى في ساحة القتال وبلغ مجموع القتلى والجرحى من الاسبانيين ٤ من الاوربيين و ٣١ من الاهالي .

روت بعض الصحف أن تركيا تعاون عبد الكريم ، فطلبت الحكومة التركية الى سفيرها في باريس أن ينفي ذلك . وقد أبلغ فتحي بك وزارة الخارجية الفرنسية ان تركيا - الحريصة على الصداقة القديمة بينها وبين فرنسا - لا تتدخل فيما يجري في خارج حدودها الوطنية

الفصل الخامس

بطولة الريفين ومراحي حركتهم

﴿وصف منزل الامير ابن عبد الكريم﴾

- بقلم مراسل (شيكاغو تريبون) الامريكية -

قابلني ابن عبد الكريم لأول مرة في يوم ٩ يونيو (١٩٢٥) في بناية من بنايات مركز القيادة العامة في (اجدير) وهو يدير منه حركة القتال في ثلاثة ميادين مختلفة . وكانت تلك البناية مؤلفة من دورين (طابقين) ومساحتها لا تتجاوز ثلاثين قدماً مربعة وعلوها لا تتجاوز خمس عشرة قدماً ، وقد حفرت حولها الخنادق وأقيمت فوقها الاستحكامات ليلجأ إليها عبد الكريم ورجال حاشيته اذا هنت طيارات العدو النارة على المدينة . ولا يزيد اتساع الغرفة التي استقبلني فيها الريم من عشر أقدام أما طولها فيمتد على طول البناية كلها . وقد استمض فيها من التوافد بثلاثة ثقبوب صغيرة ، وعلقت على أحد جدرانها خمس بندقيات اسبانية ومسدس كالتي يحمله الضباط وتلقون غنمه الريفيون من الاسبان ، وهو متصل بجميع خطوط القتال ويقضي عبد الكريم أمامه ثمانى عشرة ساعة يومياً في اصدار الاوامر والتعليقات الى ضباطه وجنوده . وأول ما استوقف نظري عند وصولي الى مركز قيادته بساطة المكان وخلوه من مظاهر الابهة والمظمة ولم يكن على الباب الخارجى سوى حارسين أما في الداخل فلم أر حرساً على الاطلاق كما أنه ليس في مظهر عبد الكريم ما يميزه عن سائر مواطنيه حتى البسطاء منهم . وهو يرتدى برنسا بنى اللون وطربوشا أبيض وينتعل خفين كالذين يلبسهما أهل المغرب الأقصى ومع ذلك يسهل على الاجنبى تمييزه عن رجال حاشيته . ووجهه ممتلئ ببضوي وفيه من الملامح العربية ما يكفي لتميز ادماء صاحبه وهو أنه من سلالة النبي (صلى الله عليه وسلم) وله عينان واسعتان غير أنهما متقاربتان وقد أطلق لحيته وشاربيه فزينتا بسوادها بياض وجهه وأسناؤه . فلما دخلت عليه حيايتي تحية مرحب وصافحتني على الطريقة الاوربية ودعاني الى الجلوس على وسادات وضمت على الارض في الطرف الآخر من الغرفة مقابل مكتبه . فزهت حذائي وجلست أما هو فقام الى التلقون وخطب أحد قواده ثم عاد الى

عمادتي وترجم الى الجانبى . وقد لاحظت أن في رجله اليسرى عرجاً خفيفاً فلما خرجت من حضرة
أخبرني بعض رجاله انه أصيب بكسر في رجله هذه وهو يقفز محاولا الفرار من قلعة في ملية
سجنه فيها الاسيان سنة ١٩١٩

﴿ كيف يحارب الريفيون ؟ ﴾

- بقلم مراسل (التيس) في رباط الفتح -

لقد أدخل الفرنسيون ثلاثين حصناً من سلسلة الآكام المرابطة فيها جيوشهم . والريفيون
تحصنوا في خنادق احتفروها على طراز في دقيق وابدعوا في تحصينها . ومنحدرات تلك الآكام
صخرية مطاة بنايات كثيفة وحراج ائيشة . فالمهارة التي حصنت بها خنادق الريفيين في مثل تلك
المنحدرات وضيقها كل ذلك مما يجعل تدميرها بالمدافع امراً عسيراً . وهكذا فقد صبرت حتى المدافع
الكبيرة من حيار ١٥٥ مليمترآ عن اجلاء الريفيين المشهود لهم بالبسالة عن تلك الخنادق . وما يستحق
الذكر ان قنابل الافرنسيين التي تصيب المرمى تقتل كثيراً من الريفيين ولكن الذين ينحرفون من
القنابل يتابعون هجومهم بصفحة غير هياين نار الاعداء حتى يتمكنوا من تناول الجنود الافرنسية
بنيرانهم من مرمى قريب . وفي كثير من الحالات كان رجال القنابل يبتنون في خنادقهم بالرغم
من اعمال المدفعية الهائلة وهم متابعون لاطلاق النار بكل طأينة وفقاً للأوامر الصادرة لهم .

وقد ظن في بادئ الامر ان استبسال الريفيين الى حد التهور ناتج من قلة اختبارهم وعمرهم
باساليب القتال الفنية وانهم لا يلبثون ان يتناقص عديدهم تدريجياً . ولكن الحقيقة جاءت مخالفة
لهذا الظن لان الريفيين ما اهلكوا يظهرون استخفافهم بالموت وشجاعتهم الفائقة . وليس ثمة أقل
دليل على ظهور التراخي في صفوفهم ، كما ان رباطة جأشهم حيال كل اسلوب من أساليب القتال
الحديثة ظلت هي هي ولم تتبدل .

ومن المستحيل ان يتمكن أحد من تقدير عدد المقاتلين في الجيوش الريفية بالنظر لسرعة
حركاتهم وكثرة تنقلهم وكل تقدير من هذا القبيل هو تقريبي . اما غذاؤهم فمقتصر على ريفيين
بدون ادام في اليوم لكل واحد منهم وعلى هذين الريفيين يحرقون ويحرقون الخنادق ويحاربون
وهناك المعاصات العديدة دأبها الاغارة على صفوف الافرنسيين وارهاب سكان القرى .
وبالنظر لسرعة هجومها وحركاتها فمن المتعذر مطاردتها ولكن الاهالي - بمساعدة الجنود غير
الانظامية - يذلون قمارهم لاجتناب اخطار تلك المعاصات جهد العاطفة .

ذلك فضلا عن ان عبد الكريم لا يفتأ ينشر دعايته وراء الحدود فيوزع النشرات والرسائل واكثرها تقع بايدي الافرنسيين اما عن طريق القبائل المخلصة او من طريق آخر وفي معظم تلك الرسائل يؤكد بانه حازم على دخول فاس قريبا ويسمى اسماء المواقع التي أخلاها الافرنسيون مدعيا انه امر عددا كبيرا منهم الى غير ذلك من أساليب الدعاية والترويج . والحقيقة انه حاول مراراً ان يفتقر قلب الافرنسيين ليزحف على فاس ولكنه في كل مرة كان يخفق

وبما لا ينكر ان الحالة في فاس هادئة لم تضطرب ، ولكن سكانها متمسجون من بطء حركات الجيوش الافرنسية وسرعة حركات الريفيين غير طامنين ان المدفعيات الكبيرة وسائر معدات القتال التي يحارب بها الافرنسيون تحول دون السرعة في حركاتهم بعكس الريفيين الذين يحاربون برغيفين في النهار وعدة قراطيس للبندقيات ولا يحملون سواها .

اما ذخائر الريفيين فوفيرة ومضطمة مما كسبوه من معاركهم مع الاسبانيين ومواسمهم في هذه السنة كافية لنموينهم ولا ينكر ان هناك عددا من الضباط الالمانيين يحاربون في صفوفهم ولكن الفضل في ثباتهم مائد الى شجاعتهم وعلى نوع خاص الى المقدرة التي امتاز بها ابن عبد الكريم في الادارة وتنظيم الصفوف بحيث يسجز اى اوربي كان عن ادارة تلك البلاد بمقدرة ابن عبد الكريم ما لم يكن قد قضى عمراً طويلاً في الريف

﴿ ابن عبد الكريم يتكلم ﴾

— تمريضه لمراسل (شيكاغو تريبون) الامريكية —

« لقد حاربت اسبانيا اولاً لاننا لانعرف بمعاهدة (الجزيرة) التي قسمت الريف الى مناطق حتى تشملها بحمايات اجنبية فقصت على استقلالنا الذي اعترفت به الدول العظمى حتى ذلك الحين . وانتم ترون بنفسكم عمرة جهادنا وأقل ما يقال عنه ان جانباً كبيراً من بلاد الريف اصبح مستقلاً . »
« لقد ظلت علاقتي مع الفرنسيين على صفاء ووداد الى امد قصير ، غير انهم ما فتئوا في السنتين الاخيرتين يناوؤن مندوبيي ويمضون على رسلي ، ويضربونهم ، ويصادرون البضاعة المرسلة الي في أثناء اجتيازها حدود منطقتنا . وقد اهرت لهم غير مرة — منذ شرعنا في حركتنا الاستقلالية — عن رغبتني في تسوية مسألة الحدود التي تفصل منطقتهم عن منطقتنا فلم يلبوا دهوتي حتى كانت سنة ١٩٢٣ فطلب الي المرشال ليوتي أن أرسل اليه مندوباً عنى الى رباط الفتح ففعلت

ولكنهم تجاهلوا وجوده ، وأخبرني الجنرال شميران يومئذ أنهم عزموا على التوغل في منطقة نهر «الورغة» . وفعلوا طلبوا من جنودي الذين كانوا يشعرون ويؤمنون في تلك الجهة أن يجلبوا منها : ولما كنت منهمكا في ذلك الحين بمحاربة الاسبان أذعنت للامر مكرها ثم عاد الفرنسيون فطلبوا في شهر ابريل الماضي استرداد جنودي المرابطين في منطقة بني زروال مع أن هذه المنطقة ريفية من اقدم المصور الى الآن . وهب انه كان في نيتي أن أجيب الفرنسيين الى طلبهم فانهم لم يتركوا لي الوقت الكافي للتفكير بل أوعزوا الى طياراتهم بالقاء القنابل على رجالنا فاضطرت الى خوض غمار الحرب لادافع عن حقوق الريفيين

«فيتبين لكم مما تقدم أن خطي دفاعية لا هجومية كما يزعم أعدائي ، ونحن نطلب أن يحترم الفرنسيون الريفيين في منطقتهم كما أننا مستعدون لان نحترم حقوق الفرنسيين في منطقتنا . وقد كان اطلاق القنابل في مقدمة العوامل التي حملتني على التدابير العسكرية اللازمة للدفاع عن سلامة بلادي .. »

﴿ في سبيل الحياة ﴾

- من رسالة ابن عبد الكريم الى جمعية الطلبة في بوس آيس (١) -

لا يوجد في هذه الدنيا حق للام أقدس وأرسخ من حقها في أن تحكم نفسها بنفسها ان سكان المغرب الأقصى قد هبوا اليوم للحرب في سبيل استخلاص استقلالهم الذي جعلته أوروبا العوية فيدها . وان الحرب العظمى قد خولت بعض دول أوروبا الطاعة الجشمة أن تمتلك الأراضي التي تريدها . ولقد كفى الشعوب العربية ما طعته من الخنوع لئير الانكيز والفرنسيين واليطاليان . وها ان اخواتنا المصريين خطوا الخطوة الاولى ، ولهم الدنيا أنا لن نكون وراءهم مصر في الحرس على استقلالنا .

لقد دنت الساعة التي تقول فيها الجزائر وتونس وطرابلس الغرب كلتهن ، وسيجتمع أولادهن تحت أشعة الشمس المقدسة التي انجبرت أنوارها بيدي ، وسيبرق النور في مراكش المستقلة وفي مصر المستقلة ، تحت تلك الشمس . وحينئذ فان الشعوب العربية - التي خدمت الحضارة خدمة عظيمة - تعيش حرة مستقلة .

(١) لغزتها الصحف الالمانية ، ونقلها مراسل جريدة (اقدام) لتركيا في برلين الى جريدته برسالة تاريخ ٢٠

يونيه سنة ١٩٢٥

الخاتمة

انتهيا الآن من وضع هذه الرسالة التي تتضمن سيرة بطل خالد قد قام وحفنه من رجاله تجاه دولتين قويتين قضت احدهما بالامس على ملك أجداده في ديار الاندلس. ثم جاءت اليوم بمديدها الى ابتلاع ديار المغرب ، فاصابها في تحزها هذا ما أصاب اليونان في الاناضول ، فقد دارت عليها الدوائر وطعننها رعى الحرب ملحقاً فاصبحت قنقع بالسلامة بعد ان كانت نحلماً بانشاء مستعمرة اسبانية جديدة في تلك الممالك تكون نواة لاعلاء المجد الاسباني

واقنا لعل يقين بأن العالم العربي خاصة والشرقي عامة يشعر في هذه الساعة التي يصيد فيها ابن عبد الكريم الاجانب عن وطنه - بأن دموع الامى التي كانت تنهمر على ملك الاندلس تتبدل الى دموع فرح وسرور ، وبأن التاريخ سيغلد امم البطل الخالد ابن عبد الكريم بين صفحاته منقوشاً بالذهب ، مقروناً بالاحباب والاجلال . ولذلك وجب ان نحفظ ترجمة حياة الامير في الصدور ، وان يلقيها الصغار والكبار ، لتكون درساً مفيداً للام الضعيفة وهبة للشعوب المنكوبة على أرضها ، لتعلم ان قوة الايمان ومضاه العزيمة هي اعمل في النفوس من قوة الاطبل والديابات والطيارات ، وان لله في خلقه رجالاً اذا أرادوا أراد ، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين »

فهرس

صفحة	صفحة
ذكرى الادلس في المغرب	٣ تقديم الكتاب
مؤتمر الجزيرة الخضراء	٤ كلمة للناشر
الريسولى	٥ المقدمة:
الامير عبد الملك	
٢٣ مسألة طنجة وحادثة أغادير	
٣٤ - ٢٥ الفصل الثاني	النضال بين الشرق والمغرب
﴿ سيرة الامير ﴾	الفصل الاول
مولده ونسبه	﴿ مقدمات تاريخية ﴾
نفاؤه	
أحدث صورة له	٧ جغرافية بلاد المغرب الاقصى
أوصاه	٨ خريطة الريف والمغرب الاقصى
أخلاه	﴿ تاريخ المغرب ﴾
نوعه ومواهبه	١٠ تمهيد
قبل الحرب العامة	١٠ العهد القديم
في الحرب العامة	١١ العهد العربي
بعد الحرب العامة	١٢ عهد الاستقلال :
اسباب ثورته	الدولة الاميرية
عمن للكراباج	الدولة المرافوية
الانتماء للادلس	دولة المراطيين
الرئاسة الاولى	دولة الموحدين
الجمعية الوطنية	الدولة المرينية
للينطق للعموم	الدولة الوطاسية
العلم الريفي	الدولة السعيدية
خاصة الجمهورية الربية	الدولة الحسنية
صورة الامير في مركز القيادة	مرنسا في مرائس
٣٤ - ٣٧ أقوال الاجانب والصحف في الامير	١٩ اسبانيا والمغرب
مقالة (الدبلى اكبرس)	قبل جلاء العرب عن الادلس
رسالة الكاشين هلوكنس	بعد جلائهم عنها
رسالة مراسل (المورنين پوست)	
كلمة الكاشين بيمان	
كلمة مراسل (الكينيس)	

صفحة

صفحة

الحرب سنة ١٩٣٤
تصريحات ملك اسبانيا
« ديكتاتور اسبانيا »
المارك الحاسنة
احتجاج تطوان
اصحاب الاساقفة من الداخل
شروط الهدنة
الجلالة
الطبعة الدولية

٦٧ نصيحة لويد جورج لمن يحاربون الريف

الفصل الرابع

« فرنسا والريف »

٧٠ - ٧٢ قبل الحرب .
مسألة الحدود عند وادي وعة
تقل للرفال لوتق
تصريحات الامير

٧٢ - ٨٥ الحرب بين الريف وفرنسا

- ١- (من أول مايو سنة ١٩٢٥ الى ١٢٢٠)
- ٢- (من ١٢٠٠ سنة الى ٢٠٠٠ سنة)
- ٣- (من ٢١ الى ٦ يونيو)
- ٤- (من ٦ سنة ٢٦ سنة)
- ٥- (من ٢٦ سنة الى ٧ يوليو)

الفصل الخامس

« بطولة الريفيين ومراي حركتهم »

وصف منزل الامير
كيف يحارب الريفيون ؟
ان عبد الكريم يتكلم
في سبيل الحياة

الخاتمة ٩٠

مقالة المسير اميل بوري
كلمة المسير مارسليانك
تصريح الرغال لوتق
كلمة الركيز دي سيجوزاك
كلمة المستركتورق
مقالة (دويش الجنية تايونون)
رسالة مراسل (الخلال)

٣٧ الادارة والاصلاحات

٣٨ الاممال السياسية ، ووقود الريف

٤٠ الريفيون والمسلحون :

خطاب الامير الى العالم الاسلامي
مشور الامير على جهيات الخلاه الاخر
تصريحات الامير لمراسل الجلي ميل

٤٣ في سبيل السلام :

كتاب الامير الى مستر مكملو له
كتابه الثاني اليه

٤٥ - ٦٦ الفصل الثالث

« حرب الريف مع اسبانيا »

الجيش الريفي
التجديد العلم
هل في الريف ضابط اجانب ؟

الحرب سنة ١٩٢١

١٩٢٢ « «

معركة الحسيمة

مفاوضات الصلح

الحرب سنة ١٩٢٣

موقعة داعيت

مؤتمر تطوان

رسالة الاسبان الى الريفيين

جواب الريفيين

معارك اعطس

الانقلاب في اسبانيا

